الخلافة الرَّاشدة

عصرُ التَّمكين وبدايةُ الخلافة

«كل ما يحتاج إليه الشيطان «الشر» لكي يحقق انتصاره
هو أن يجلس الأخيار دون أن يفعلوا شيئاً»

إيدموند بورك

(١) عبد الله بن عثمان
(١١- ١٣هـ)، (٦٣٢-٦٣٤م)

أولاً: اسمه ونسبه وكنيته وألقابه:

هو عبد الله بن عثمان بن عامر... بن غالب القرشي التيميُّ[١]، ويلتقي مع النبي ﷺ في النَّسب في الجدِّ السادس مرَّة بن كعب[٢]. أما ألقابه فنذكر منها:

اللقب	سبب التسمية
العتيق	لَقَّبَهُ به النبي، حيث قال له: «أنت عتيق الله من النار»[٣].
الصديق	لَقَّبَهُ به النبي لكثرة تصديقه له ولاسيّما يوم الإسراء والمعراج[٤].
الصاحب	لَقَّبَهُ به الله عزَّ وجل في القرآن الكريم: [التوبة:٤٠][٥].

١- الإصابة لابن حجر (٤/١٤٤، ١٤٥).

٢- سيرة وحياة الصدّيق، مجدي فتحي السيد، ص (٢٧).

٣- الإحسان في تقريب صحيح ابن حِبَّان (١٥/٢٨٠) إسناده صحيح.

٤- المعجم الكبير للطبراني، (١/٥٢).

٥- تاريخ الدعوة في عهد الخلفاء، يسري محمد هاني، ص (٣٩).

﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾.

ثانياً: صفاته الخُلقية، وأسرته، ومكانته في قريش:

١- صفاته:

كان أبيضَ تخالطه صفرة، حسن القامة، نحيفاً خفيف العارضين، رقيقاً معروقَ الوجه[١]، غائر العينين[٢]، أقنى[٣].

٢- أسرته:

والده عثمان بن عامر بن عمرو، يُكنَّى بأبي قحافة، أسلم يوم الفتح، وأقبل به الصدّيق على رسول الله ﷺ فقال: «يا أبا بكر، هلا تركته حتى نأتيه» فقال أبو بكر ﷺ: هو أولى أن يأتيك يا رسول الله[٤].

وأمَّا والدة الصديق: فهي سلمى بنت صخر... بن تيم، وكنيتها أم الخير، أسلمت باكراً[٥].

٣- مكانته في قريش:

كان أبو بكرٍ ﷺ في الجاهليَّة من وجهاء قريشٍ، وأشرافهم، وأحد رؤسائهم، وكانت له بمكَّة ضيافات لا يفعلها أحد مثله[٦]. أضف إلى ذلك أنه كان من أعفَّ النَّاس في الجاهلية[٧]؛ حيث لم يسجد لصنم قط، بل حرَّم على نفسه الخمر قبل الإسلام. فقد أجاب ﷺ من سأله هل شربت الخمر في الجاهلية؟

١- المعروق: هو قليل اللحم.

٢- غائر العينين: دخلت في الرأس.

٣- أقنى: قني الأنف: ارتفع أعلاه، واحدودب وسطه.

٤- الإصابة (٤//٣٧٥).

٥- تاريخ الدعوة في عهد الخلفاء، ص (٣٠).

٦- نهاية الإرب (١٩/١٠) نقلاً عن تاريخ الدعوة، يسري محمد، ص (٤٢).

٧- تاريخ الخلفاء للسيوطي، ص (٤٨).

بقوله: أعوذ بالله، فقيل: ولِمَ ؟ قال: كنتُ أصون عِرْضِي، وأحفظ مروءتي، فإنَّ من شربَ الخمر كان مضيِّعاً لعرضه،ومروءته[1].

ثالثاً: إسلامه، ودفاعه عن النبي:

أسلم أبو بكر ﷺ، ولم يتلعثم، وعاهد رسول الله ﷺ على نصرته، وبذلك كان ﷺ أول من أسلم من الرجال الأحرار. وبإسلام أبي بكر ﷺ عمَّ السرور قلب النبي ﷺ؛ حيثُ تقول أمُّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها: فلمَّا فرغَ من كلامه- أي النبي ﷺ- أسلم أبو بكر، فانطلق رسول اللهﷺ من عنده، وما بين الأخشبين أحدٌ أكثر سروراً منه[2].

ولهذا قال رسول الله ﷺ في حقِّه يوم تعرَّض له أهل قريش بالأذى: «إن الله بعثني إليكم فقلتم: كذبت، وقال أبو بكر: صدق، وواساني بنفسه وماله، فهل أنتم تاركون لي صاحبي؟»[3].

رابعاً: الصديق في ميادين الجهاد:

مرَّت الأيام والسنون، والنَّاس تتزايد في الإقبال على دين الله، وتعلم شريعته من رسوله عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، وهاجر النبي ﷺ إلى المدينة فاستقبله أهلها وأكرموا حقَّه وحقَّ أصحابه، فأصبحت المدينة المنوَّرة مركزاً للدولة الإسلامية، ثمَّ أخذت نارُ الحرب تشتعل بين المسلمين وكفار قريش، فكان المسلمون يجاهدون في سبيل الله وهدفهم النصر أو الشهادة، وأبو بكر ﷺ معهم لم يتغيَّب عن معركةٍ قط.

١- المصدر السابق، ص (٤٩).

٢- البداية والنهاية، (٢٩/٣).

٣- البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي رقم: ٣٦٦١.

فقد ذكر أهل العلم بالتَّواريخ والسِّيَر أنَّ أبا بكر ﷺشهد مع النبي بدراً والمشاهدَ كلها، ولم يفُته منها مشهد، وثبتَ مع رسول الله ﷺ يوم أحد حين انهزم الناس، ودفع إليه النبي رايته العظمى يوم تبوك، وكانت سوداء[1].

خامساً: وفاة الرسول ﷺ:

من أبرز ما يذكر من أخبار مرضه ﷺ أن قام في أحد الأيام فقال: «إنَّ الله خيَّر عبدًا بين الدنيا وبين ما عند الله، فاختار ذلك العبدُ ما عند الله»، فبكى أبو بكر ﷺ، فقال أبو سعيد الخُدْريُّ ﷺ: عجبنا لبكائه أن يخبر الرسول عن عبدٍ خُيِّرَ، فكان رسول الله هو المُخَيَّر، وكان أبو بكر ﷺ أعلمنا بهذا[2].

كانت مهمة النبي ﷺ هي إبلاغ رسالة الله ونشر الدعوة في أرجاء الأرض، ولما كان لكل أجلٍ كتاب، كانت وفاة الرسول ﷺ أمراً لازم الحدوث، فقد بلغ النبي الرسالة، وأدى الأمانة، وحان وقت ابتلاء الأمم في دينها ليميز الله الخبيث من الطيب، ويعلم من قد صدقه ممن ما زال في قلبه شك أو ريب من رسالة نبيه ﷺ.

لما اشتدَّ المرض بالنبيِّ، وحضرته الصلاة قال: «مروا أبا بكرٍ فَلْيُصَلِّ» فاستمرَّ أبو بكر ﷺ يصلِّي بالمسلمين، حتى إذا كان يوم الاثنين، وهم صفوفٌ في صلاة الفجر، كشف النبيُّ ﷺ ستر الحجرة، لينظرَ إلى المسلمين، وهم وقوف أمام ربهم، فرأى كيف أثمر غرسُ دعوته وجهاده، وكيف نشأت أمَّةٌ تحافظُ على الصلاة، وتواظبُ عليها بحضرة نبيها وغيبته، وقد قرَّت عينه بهذا المنظر البهيج، وبهذا النجاح الذي لم يُقدَّر لنبيٍّ أو داعٍ قبله، واطمأنَّ أنَّ صلةَ هذه الأمةِ بهذا الدين وعبادة الله تعالى صلةٌ دائمةٌ لا تقطعها وفاة نبيها، فمُلئ من

١- الطبقات الكبرى، (١/١٢٤)، صفة الصفوة: (١/٢٤٢).

٢- البخاري، كتاب فضائل الصحابة، رقم: (٣٦٥٤).

السرور ما الله به عليم، واستنار وجهه وهو منير[1].

يقول الصحابة ﷺ: كشف النبيُّ ستر حجرة عائشة ينظرُ إلينا وهو قائم، وكأنَّ وجهه ورقةُ مصحف، ثمَّ تَبسَّم يضحك، فهممنا أن نفتتن من الفرح وظننَّا أن النبي خارجٌ إلى الصلاة، فأشار إلينا أن أتُّموا صلاتكم، ودخل الحجرة وأرخى السِّتر، ثم انصرف بعض الصحابة إلى أعمالهم، ودخل أبو بكر على ابنته عائشة، وقال: ما أرى رسول الله إلا قد أقلع عنه الوجع.

ثمَّ كان أن اشتدَّت سكرات الموت بالنبي ﷺ وهو يردد قائلاً: «لا إله إلا الله... إنَّ للموت سكرات»، ثمَّ نصب يده، فجعل يقول: «في الرفيق الأعلى»، حتى قُبض ومالت يده .

وقد ورد أن فاطمة -رضي الله عنها- كانت تقول: وا كرب أباه!، فقال لها: «ليس على أبيك كربٌ بعد اليوم»، فلمَّا مات قالت: وا أبتاه!... أجاب ربًّاً دعاه، وا أبتاه.. جنَّةُ الفردوس مأواه، وا أبتاه!... إلى جبريل ننعاه. فلمَّا دفن قالت لأنس: كيف طابت أنفسكم أن تحثوا على رسول الله ﷺ التراب.

وهكذا فارق رسول الله الدنيا ومعظم جزيرة العرب تدين له بالولاء والطاعة، ويرهبه ملوك فارس والروم، ويفديه أصحابه بنفوسهم وأولادهم وأموالهم، وما ترك عند موته ديناراً ولا درهماً، ولا عبداً ولا أمةً، ولا شيئاً إلا بغلته البيضاء، وسلاحه، وأرضاً جعلها صدقة[2].

وكان ذلك يوم الاثنين في الثاني عشر من شهر ربيع الأول سنة إحدى عشرة من الهجرة، وله ثلاث وستون سنة.

١- انظر: السيرة النبوية لأبي شهبة: ٢/٥٩٣.

٢- السيرة النبوية للندوي، ص (٤٠٣).

سادساً: موقف أبي بكرٍ حينها:

قال ابن رجب: لما توفي رسول الله اضطرب المسلمون؛ فمنهم من دُهش، ومنهم من أُقعد فلم يُطق القيام، ومنهم من اعتُقل لسانه فلم يُطِق الكلام، ومنهم من أنكر موته بالكليَّة [1].

ولكنَّ الله ثبَّت أبا بكر ﷺ على الحق، فقام خطيباً في الناس فحمد الله وأثنى عليه بالذي هو أهله، ثم قال: فإنَّ من كان يعبدُ محمداً فإنَّ محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حيٌّ لا يموت، ثمَّ تلا هذه الآية: ﴿ **وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ** ﴾ [آل عمران: ١٤٤]. فراح الناس يبكون[2].

قال عمر بن الخطاب ﷺ: فو الله ما إن سمعت أبا بكر تلاها، حتى هويت إلى الأرض ما تحملني قدماي، وعلمت أنَّ رسول الله قد مات[3].

تقول عائشة- رضي الله عنها-: فو الله لكأن الناس لم يكونوا يعلمون أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر ﷺ، فتلقاها منه الناس، فما يسمع بشر إلا يتلوها.

١- لطائف المعارف، ص (١١٤).

٢- البخاري، كتاب فضائل الصحابة، رقم (٣٦٦٨).

٣- البخاري، كتاب المغازي رقم (٤٤٥٤).

سابعاً: بيعته بصفته أول خليفة للمسلمين:

أجمع أهل السنَّة والجماعة على أنَّ أحقَّ النَّاس بالخلافة بعد النبي ﷺ أبو بكر ﷺ، لفضله وسابقته، ولتقديم النبي إيَّاهُ في الصلوات على جميع الصحابة ﷺ. وقد فهم أصحاب النبي مراد المصطفى ﷺ من تقديمه في الصلاة، فأجمعوا على تقديمه في الخلافة، ومبايعته ولم يتخلَّف منهم أحدٌ ولم يكن الله- جل وعلا- ليجمعهم على ضلالة، فبايعوه طائعين وكانوا لأوامره ممتثلين[1]. وهكذا بعد أن تمت بيعة أبي بكر الخاصة باتفاق أهل الشورى من المسلمين في سقيفة بني ساعدة، اجتمع المسلمون في اليوم التالي للبيعة العامة [2]. فقام أبو بكر إلى المنبر فحمد الله وأثنى عليه بالذي هو أهله، ثم قال: «أيها الناس، فإني قد وُلّيت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأتُ فقوّموني، الصدق أمانةٌ، والكذب خيانةٌ، والضعيف فيكم قويٌّ عندي حتى أرجع عليه حقَّه إن شاء الله، والقويُّ فيكم ضعيفٌ عندي حتى آخذ الحق منه إن شاء الله. لا يدع قومٌ الجهاد في سبيل الله إلا خذلهم الله بالذل، ولا تشيعُ الفاحشة في قومٍ إلا عمَّهم الله بالبلاء، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم، قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله»[3].

فكان رحمه الله أول خليفة يتولى أمر المسلمين بعد رسولهم، فخُطَّ اسمه على أول صفحة من كتبِ تواريخ الخلافة عامة، وعلى الخلافة الراشدة خاصة.

١- عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة (٢/٥٥٠).

٢- عصر الخلافة والخلفاء الراشدين، د فتحية النبراوي ص (٣٠).

٣- البداية والنهاية (٦/٣٠٥، ٣٠٦)، إسناده صحيح.

ثامناً: خدماته للأمة الإسلامية:

عاش الصديق ﷺ بين المسلمين خليفةً لرسول الله ﷺ، فكان لا يتركُ فرصةً تمرُّ إلا علَّم الناس وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر، فكانت مواقفه تشعُّ على من حوله من الرعية بالهدى والإيمان والأخلاق.

١- حروب الردَّة:

هبَّت في بداية خلافة أبي بكر ﷺ رياح حروب الردَّة، حيث ارتدَّ بعض الناس عن الإسلام بأشكالٍ مختلفة، وكان لحروب الردَّة فائدةٌ خاب وخسر من جهلها، أو لم يعِ نتائجها؛ فحروب الردَّة أثبتت للأمم جميعها سابقها ولاحقها أنَّ الأمَّة المتماسكة القويَّة، المؤمنة بأهدافها، وبرسالة قائدها، لا يمكن أن ينال ثعلب المكر منها، أو أن يفتَّ في عضدها فتنٌ خرقاء هاوية.

يقول هنري برغسون: لقد وجدت جماعاتٌ إنسانية من غير علوم وفنون وفلسفات، ولكن لم تُوجد جماعات بدون ديانة أي «عقيدة».

فكم مرَّ على تاريخ العالم دولٌ واتحاداتٌ جبارةٌ لفتت الأنظار، إلا أنَّ نهايتها كانت الفشل بأيدي شعوبها وحملة راياتها، أو بأيدي المخربين لها من الخارج.

هكذا هي سنة الله في الأرض، ما إن تنسى الأمم شرائعه، ويظلم عباده في الأرض، أو تسود الفاحشة بينهم، حتى تُسحب الخيرات من أيديهم ويصبحوا عبيداً بعد أن كانوا سادةً في أرض الله.

أ- الردَّة اصطلاحاً:

عرَّف الإمام النووي الردَّة بأنها: قطع الإسلام بنيَّةٍ أو قول كفرٍ أو فعلٍ سواء قاله استهزاءً أو عناداً أو اعتقاداً، فمن نفى الصانع أو الرسل أو كذب رسولاً أو حلل محرَّماً بالإجماع كالزنا وعكسه، أو نفى وجوب مُجمعٍ عليه أو عكسه، أو عزم على الكفر، أو تردد فيه؛ فقد كفر[1].

ب- أسبابها، وأصنافها:

إنَّ الردَّة التي قامت بها القبائل بعد وفاة رسول الله ﷺ لها أسبابٌ كثيرة، منها: الصدمة بموت رسول الله، ورقة الدين والتَّفلُّت من النِّظام، والخروج على السلطة الشرعية، والعصبية القبلية والطمع في الملك، والتحاسد، والمؤثرات الأجنبية[2] كدور اليهود والنصارى والمجوس.

وأمَّا أصنافها: فمنهم من ترك الإسلام جملةً وتفصيلاً وعاد إلى الوثنية وعبادة الأصنام، ومنهم من ادّعى النبوة، ومنهم من دعا إلى ترك الصلاة، ومنهم من بقي يعترف بالإسلام ويقيم الصلاة ولكنَّه امتنع عن أداء زكاته، ومنهم من شمِتَ بموت الرسول، وعاد أدراجه يمارس عاداته الجاهلية، ومنهم من تحيّر وتردّد وانتظر على من تكون العاقبة.

جـ- موقف الصديق من المرتدين[3]:

كان رأي أبي بكرٍ في حرب المرتدين رأياً ملهماً، وهو الرأي الذي تملِيه طبيعة الموقف لمصلحة الإسلام والمسلمين، وأيُّ موقفٍ غيره سيكون فيه الفشل

١- شرح على متن المنهاج، لشرف الدين النووي، ص (٥١٩).

٢- حركة الردة، على العتوم، ص (١١٠ إلى ١٣٧).

٣- يجسد موقفه رضي الله عنه انعكاساً رائعاً لعبارة إيدموند بورك، ص (١٦).

والضياع والهزيمة والرجوع إلى الجاهلية، ولولا فضل الله ثمَّ هذا القرار الحاسم من أبي بكرٍ لتغيَّر وجه التاريخ وتحولت مسيرته ورجعت عقارب الساعة إلى الوراء، ولعادت الجاهلية تعيث في الأرض فسادًا[1].

د- مسيلمة الكذَّاب، ومقتله لعنه الله:

هو مسيلمة بن ثمامة بن كبير بن حبيب الحنفيُّ. وكان يدَّعي النُّبوَّة ورسول الله بمكة، وكان يبعثُ بأناسٍ إليها ليسمعوا القرآن، ويقرؤوه على مسامعه، فينسج على منواله[2].

ففي العام العاشر للهجرة عندما أصيبَ رسول الله ﷺ بمرض موته، تجرَّأ الخبيث فكتب رسالةً إلى رسول الله ﷺ يزعمُ لنفسه فيها الشراكة معه في النبوة، ونصها: من مسيلمة رسول الله (كَذَبَ) إلى محمد رسول الله: أمَّا بعد، فإنَّ لنا نصف الأرض، ولقريشٍ نصفها، ولكنَّ قريشًا لا ينصفون.

فردَّ عليه رسول الله ﷺ برسالة كتبها له أُبيّ بن كعب رضي الله عنه ونصها: «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد النبي إلى مسيلمة الكذاب، أما بعد، فإنَّ الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين، والسلام على من اتبع الهدى».

وأثناء حروب الردة تمكن المسلمون منه؛ حيث قُتل في مواجهةٍ مع جيش خالد بن الوليد، عندما تقدم له وحشيُّ بن حربٍ- قاتل حمزة عم الرسول- فرماه بحربته التي أصابته وخرجت من الجانب الآخر، ثم سارع إليه أبو دُجانة فضربه بالسيف فسقط.

وبقتل مسيلمة الكذَّاب انتهت حروب الردَّة، وأثبت المسلمون ثباتهم على شريعة نبيهم، وأثبت الصديق حُسن إدارته للأمور.

١- الشورى بين الأصالة والمعاصرة: ص (٨٦).

٢- البدء والتاريخ: ١٦٠/٥ للمقدسي، نقلا عن حركة الردة، ص (٧١).

٢- جمع القرآن:

كان من ضمن شهداءِ المسلمين في حروب الردَّة كثيرٌ من حُفَّاظ القرآن، فنتج عن ذلك أن قام أبو بكر ﷺ بمشورة عمر بن الخطاب وبعض أصحاب رسول الله ﷺ بجمع القرآن؛ فجُمعَ من الرقاع، والسعف ومن صدور الرجال[١]. وأُسند هذا العمل العظيم إلى الصحابي الجليل زيد بن ثابت الأنصاري ﷺ. وبقيت الصحف عند أبي بكر في حياته حتى توفاه الله، ثمَّ عند عمر في حياته حتى توفاه الله، ثم عند حفصة بنت عمر ﷺ [٢].

تاسعاً: الشورى في استخلاف عمر ﷺ:

في شهر جمادى الآخرة من العام الثالث عشر للهجرة النبوية، مرض الخليفة أبو بكر ﷺ واشتد به المرض[٣]، فلما ثقل جمع الناس إليه فقال: إنَّه قد نزل بي ما ترون، ولا أظنني إلا ميتًاً لما بي، وقد أطلق الله أيمانكم من بيعتي وحلَّ عنكم عقدتي وردَّ عليكم أمركم فأمّروا عليكم من أحببتم، فإنكم إن أمّرتم في حياةٍ مني كان أجدر من أن لا تختلفوا بعدي[٤].

فتشاور الصحابة رضي الله عنهم، وكلٌ يحاول أن يدفع الأمر عن نفسه ويطلبه لأخيه إذ يرى فيه الصلاح والأهلية، لذا رجعوا إليه فقالوا: رأينا يا خليفة رسول الله رأيك، قال: فأمهلوني حتى أنظر لله، ولدينه، ولعباده من يلي أمركم بعدي، فأخذ يستشير الناس بأمر عمر بن الخطاب، فوافقوا جميعاً.

١- حروب الردة وبناء الدولة الإسلامية، أحمد سعيد، ص (١٤٥).

٢- البخاري رقم: ٤٩٨٦.

٣- البداية والنهاية: (١٨/٧)؛ تاريخ الطبري: (٢٣٨/٤).

٤- التاريخ الإسلامي: (٢٥٨/٩).

يذكر أن طلحة بن عبيد الله رفض استخلاف عمر وخاف من شدَّته، فقال لأبي بكر: ما أنت قائلٌ لربك إذا سألك عن استخلافك عمر علينا وقد ترى غلظته؟ فقال أبو بكر: أجلسوني، أبا الله تخوفونني؟ خاب من تزوَّدَ من أمركم بظلم، أقول: اللهم استخلفتُ عليهم خيرَ أهلك[1].

وهكذا تمَّ عقدُ الخلافة لعمر ﷺ بالشورى، ولم يورد التَّاريخ أيَّ خلافٍ وقع حول خلافته بعد ذلك، ولا أنَّ أحداً نهض طوال عهده لينازعه الأمر، بل كان هناك إجماعٌ على خلافته وعلى طاعته في أثناء حكمه فكان الجميع وحدةً واحدة[2].

عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: أفرس الناس ثلاثة:
صاحبة موسى التي قالت:
(يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين)،
وصاحب يوسف حيث قال:
(أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا)،
وأبو بكر حين استخلف عمر(*).
فقد كان عمر هو سد الأمة المنيع الذي حال بينها وبين أمواج الفتن(*).

عاشراً: وغربت الشمس:

قالت عائشة- رضي الله عنها-: أوَّلُ ما بدأ مرض أبي بكر: أنه اغتسل وكان يومًا باردًا فحُمَّ خمسة عشر يوماً لا يخرج إلى صلاة، وكان يأمر عمر ﷺ بالصلاة، وكان الصحابة ﷺ يعودونه وكان عثمان ﷺ ألزمهم له في مرضه[3].

١- أخرجه الحاكم: (٣/٩٠)، وصححه ووافقه الذهبي. أبو بكر رجل الدولة: ص(١٠٠).
الكامل لابن الأثير: (٢/٧٩).

٢- النظرية السياسية الإسلامية، ضياء الريس، ص (١٨١).

٣- أصحاب الرسول، محمود المصري: (١/١٠٤).

(٢) عمر بن الخطاب
(١٣- ٢٣هـ)، (٦٣٣- ٦٤٤م)

أولاً: اسمه ونسبه وكنيته ولقبه:

هو عمر بن الخطاب بن نُفيل... بن كعب بن لؤي بن غالب القرشيُّ، يجتمع نسبه مع رسول الله ﷺ في كعب بن لؤي [١]، ويكنى أبا حفص، ولُقِب بالفاروق؛ لأنَّه أظهر الإسلام بمكة ففرَّق اللهُ به بين الكفر والإيمان[٢].

ثانياً: صفاته الخَلقية:

كان أبيض، تعلوه حمرةٌ، حسن الخدَّين، والأنف، والعينين، غليظ القدمين والكفين، طويلاً، جسيماً، قويَّاً شديداً، كان إذا مشى أسرع، وإذا تكلَّم أسمع، وإذا ضرب أوجع[٣].

ثالثاً: أسرته، وحياته في الجاهلية:

والده الخطَّاب بن نُفيل، وأمَّا والدته فهي حنتمة بنت هاشم بن المغيرة[٤].

أمضى عمر رضي الله عنه في الجاهلية شطراً من حياته، ونشأ كأمثاله من أبناء قريش، إلا أنَّه امتاز عليهم بأنَّه كان ممَّن تعلموا القراءة، وقد حمل المسؤوليَّة صغيراً، ونشأ نشأةً غليظةً شديدة لم يعرف فيها ألوان التَّرف، وكان أن دفعه أبوه بقسوة إلى المراعي ليرعى له إبله[٥].

١- محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر، (١/١٣١).

٢- صحيح التوثيق في سيرة وحياة الفاروق، ص (١٥).

٣- تهذيب الأسماء (٢/١٤) للنووي، الخليفة الفاروق عمر بن الخطاب، للعاني، ص (١٥).

٤- أوليات الفاروق، للقرشي، ص (٢٢).

٥- الإدارة الإسلامية في عهد عمر، فاروق مجدلاوي، ص (٩٠).

وتوالت الأيام على عمر بن الخطاب حتَّى كبُر واشتدَّ ساعده، فاشتغل بالتجارة وربح منها ما جعله يغدو من أغنياء مكَّة، وكسب معارف متعددة من البلاد التي زارها للتجارة[1]، واحتلَّ مكانةً بارزةً في المجتمع المكيِّ الجاهلي، وأسهم على نحوٍ فاعل في أحداثه؛ حيث ساعده في ذلك تاريخ أجداده، فقد كان جده نُفيل بن عبد العزى تحتكم إليه قريشٌ في خصومتها[2].

ولما أشرقت شمس الإسلام في قريش، كان عمر ﷺ من الذين رفضوا رسالة النبيِّ ﷺ بادئ الأمر، فتشدَّد في تعذيب المستضعفين ممن أسلموا[3].

رابعاً: قصة إسلامه، وحرصه على إعلام قريش بما فعل؟!:

بدأت الدعوة في مكَّة سراً، فكان النبي ﷺ وأصحابه ﷺ يدعون الناس للإسلام، ويؤدون فرائضهم سرَّاً لكي لا تبطش بهم قريش. وفي أثناء ذلك علم عمر أنَّ أخته وزوجها قد أسلما؛ فاعتلاه الغضب واتجه إليهما، فلمَّا قرع الباب، قالا: من هذا؟ قال: قال ابن الخطَّاب- وكانا يقرأان كتاباً بأيديهما، فنسيا إخفاءه- فلمَّا دخل ورأته أخته، رأت الشرَّ في عينيه فخبَّأت الصحيفة تحت فخذها، فقال: ما الذي سمعتكما تقرأانه- وكانا يقرأان طه- فقالا: هو حديثٌ بيننا، قال: أصبوتما[4]، فقال صهره: أريت يا عمر! إن كان الحقُّ في غير دينك؟ فوثب عمر فوقه يضربه، فلمَّا رأت أخته ذلك الأمر منه؛ تلت الشهادة أمامه، وقالت: نعم لقد أسلمنا وَرَغُم أنفك! فلما رأى عمر شجاعتها ندم، وقام عن

١- عمر بن الخطاب، د. محمد أحمد أبو النصر، ص (١٧).

٢- الخليفة عمر، د. العاني، ص (١٦).

٣- الفاروق، عبد الرحمن الشَّرقاوي، ص (٨).

٤- أي أسلمتما، وكانت تسبُّ بها قريشٌ من أسلم.

زوجها وقال لها: أعطوني الكتاب لأقرأه، فقالت أخته: لا فإنك رجس: ﴿ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴾ فقم واغتسل، ففعل ثمَّ عاد إلى أخته، وأخذ يقرأ فرأى فيها: بسم الله الرحمن الرحيم فذُعر وألقى الصحيفة من يده، ثمَّ كان أن أكمل القراءة فإذا فيها: ﴿ طه ۝١ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۝٢ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ۝٣ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ۝٤ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ۝٦ ﴾ [طه: ١- ٦].

فعظمت في صدره. فقال من هذا فرَّت قريش ؟ ثمَّ أكمل قراءته فلمَّا بلغ قوله تعالى: ﴿ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ۝١٤ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ۝١٥ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ۝١٦ ﴾[طه: ١٤- ١٦].

قال: ينبغي لمن يقول هذا ألا يعبد غيره، دلوني على محمد[1].

فدخل على رسول الله ﷺ وأعلن إسلامه بين يديه، وذلك في ذي الحجَّة من السنة السادسة من النبوَّة، وهو ابن سبعٍ وعشرين سنة[2].

ثمَّ قال: يا رسول الله ألسنا على الحق إن متنا وإن حيينا؟ قال: بلى والذي نفسي بيده، فقال عمر: فَلِمَ الاختفاء؟ والذي بعثك بالحق لتخرجن. فخرج المسلمون في صفّين حمزة في أحدهما وعمر في الآخر حتى دخلوا المسجد فنظرت قريش إلى حمزة وعمر فأصابتهم كآبة لم يصبْهم مثلها، ويومها سماه الرسول ﷺ بالفاروق[3].

١- فضائل الصحابة للإمام أحمد (١/٣٤٤).

٢- تاريخ الخلفاء، ص (١٣٧)

٣- مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، د.السيد الجميلي ص (٢٣).

خامساً: موافقات عمر للقرآن الكريم:

قال عمر ﷺ: وافقت ربي في ثلاث[1].

قلت: يا رسول الله! لو اتخذت مقام إبراهيم مُصلى، فنزلت: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥].

وقلت: يا رسول الله يدخل عليك البَرُّ، والفاجر فلو أمرت أمَّهات المؤمنين بالحجاب، فنزلت: ﴿وَإِذَا سَأَلۡتُمُوهُنَّ مَتَٰعٗا فَسۡـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٖۚ ذَٰلِكُمۡ أَطۡهَرُ لِقُلُوبِكُمۡ وَقُلُوبِهِنَّۚ وَمَا كَانَ لَكُمۡ أَن تُؤۡذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزۡوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ أَبَدًاۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٢].

وفي ترك الصلاة على المنافقين، فنزلت: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٖ مِّنۡهُم مَّاتَ أَبَدٗا وَلَا تَقُمۡ عَلَىٰ قَبۡرِهِۦٓۖ إِنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُواْ وَهُمۡ فَٰسِقُونَ﴾ [التوبة: ٨٤].

سادساً: عمر في ميادين الجهاد:

اتفق العلماء على أنَّ عمر ﷺ شهد بدراً، وأُحداً، والمشاهد كلها مع الرسول، ولم يغب عن غزوةٍ غزاها الرسول قط[2].

سابعاً: موقفه يوم قبض الرسول ﷺ:

لما بلغ خبر وفاة الرسول ﷺ عمرَ، اهتزَّ وقام في الناس خاطباً: إنَّ رجالاً من المنافقين يزعمون: أنَّ رسول الله قد توفي، وإنَّ رسول الله ﷺ ما مات، ولكنَّه ذهب إلى ربه، كما ذهب موسى بن عمران، فقد غاب عن قومه أربعين ليلة ثم

١- أخبار عمر، الطنطاويان، ص (٣٨٠، ٣٨١)

٢- مناقب أمير المؤمنين عمر، لابن الجوزي، ص (٨٩).

رجع إليهم، فليرجعنَّ رسول الله ﷺ كما رجع موسى عليه السلام، فليقطعنَّ أيدي رجالٍ زعموا: أنَّ رسول الله قد مات[1].

فجاء أبو بكر رضي الله عنه لهدِّئ من أمره، فكان يكلمه، وكأنَّ عمر لا ينصت إليه، فقام الصديق رضي الله عنه فاعتلى المنبر... وكان من أمره ما ذكرنا في سيرته رضي الله عنه [2].

ثامناً: أخبار خلافته رضي الله عنه:

تمهيد:

بعد وفاة رسول الله ﷺ تولَّى أبو بكر رضي الله عنه خلافة المسلمين، فكان عمر رضي الله عنه جليسه ووزيره، يسانده، ويلتزم بأمره... حتى توفي الصديق، وكان قد أمِنَ على الناس إذ ولَّى عليهم عمر رضي الله عنه من بعده[3].

١- نفقات الخليفة:

لما ولي عمر رضي الله عنه أمر المسلمين مكث زماناً، لا يأكل من بيت المال شيئاً، حتى دخلت عليه من ذلك ضائقة، ولم يعد يكفيه ما يربحه من تجارته لأنَّه اشتغل عنها بأمور الرعيَّة، فأرسل إلى أصحاب رسول الله رضي الله عنه يستشيرهم في هذا الأمر، وبعد نقاش وبحث، استقرَّ الرأيُ على قول عمر رضي الله عنه: إنِّي أنزلت نفسي من مال الله بمنزلة قيِّم اليتيم، إن استغنيت عنه؛ تركته، وإن افتقرت إليه؛ أكلت بالمعروف[4].

١- السيرة النبوية، لأبي شهبة، (٢/٥٩٤).

٢- انظر: ص (٢٢).

٣- انظر: ص (٢٨).

٤- سنده صحيح، الخلافة الراشدة، د. يحيى اليحيى، ص (٢٧٠).

٢- بدء التأريخ:

يعد التَّأريخ بالهجرة تطوراً من النواحي الحضاريَّة، وكان أول من وضع التاريخ بالهجرة عمر رضي الله عنه[١].

وروى ابن حجر في سبب جعلهم بداية التاريخ في المحرم، وليس في شهر ربيعٍ الأوَّل الشهر الذي تمَّت فيه هجرة النبي؛ هو أنَّ أول هلال استهلَّ بعد بيعة العقبة الثانية، والعزم على الهجرة هو هلال المحرم[٢].

٣- لقب أمير المؤمنين:

لما مات أبو بكر، وكان يُدعى خليفة رسول الله، قال المسلمون: من جاء بعد عمر قيل له خليفة خليفة رسول الله، فيطول هذا، ولكن أجمِعوا على اسم تدعون به خلفاءكم، فقال بعض أصحاب النبيِّ ﷺ: نحن المؤمنون، وعمر أميرنا، فيُدعيَ عمر بأمير المؤمنين، فكان أول من سمِّي بذلك[٣].

٤- عمر رضي الله عنه ورعايته لنساء المجتمع:

كان عمر يهتم بنساء المسلمين، وبناتهم، ويرفع عنهنَّ ما يقع عليهنَّ من ظلم، ويرعى شؤون الأسر التي غاب عنها رجالها في الجهاد، ويحرص على إيصال حقوق الأرامل إليهنَّ[٤].

٥- نصائحه للرعيَّة:

* في أهل الصدق: عليك بإخوان الصدق؛ تعيش في أكنافهم، فإنَّهم زينةٌ في الرخاء، وعدَّةٌ في البلاء، وضع أمر أخيك على أحسنه، واعتزل عدوَّك، واحذر

١- محض الصواب (٣١٦/١).

٢- فتح الباري (٢٦٨/٧).

٣- الطبقات الكبرى لابن سعد (٢٨١/٣).

٤- صحيح التوثيق في سيرة وحياة الفاروق، ص (٣٧٣).

صديقك إلا الأمين، ولا أمين إلا من يخشى الله، ولا تصحب الفاجر، فتتعلم من فجوره، واستشر في أمرك من يخشى الله تعالى[1].

* في العلم: تعلموا العلم، وعلّموه النَّاس، وتعلَّموا الوقار، والسكينة، وتواضعوا لمن تعلمتم منه، وتواضعوا لمن علمتموه العلم، ولا تكونوا من جبابرة العلماء، فلا يقوم علمكم بجهلكم[2].

* في كتمان السر: من كتم سره كانت الخيرة في يديه.

٦- نهيه عن البدع:

أخرج ابن سعد بإسناد صحيح عن نافع: أنَّ عُمرَ ﷺ بلغه أنَّ قوماً يأتون شجرة الرضوان - حيث تمت البيعة مع النبي- فيصلون عندها، فتوعدهم، ثمَّ أمر بقطعها، فقُطِعَت[3].

٧- التَّراويح:

يُعدُ عمر ﷺ أول من جمع الناس على إمام واحد في صلاة التراويح؛ حيث كتب بذلك إلى البلدان. وسبب ذلك أن كان الناس يصلّونها في جماعات متفرقة[4].

٨- أمره الناس بالعمل:

كان عمر يحثُّ الناس على السعي، وكسب لقمة العيش.

وكان ﷺ إذا رأى غلاماً، فأعجبه سأل: هل له حرفة ؟ فإن قيل: لا؛ قال سقط من عيني[5].

١- مختصر منهاج القاصدين، ص (١٠٠).

٢- أخبار عمر، ص (٢٦٣).

٣- طبقات ابن سعد (٢/١٠٠).

٤- محض الصواب (١/٣٤٩).

٥- نظام الحكومة الإسلامية (٢/٢٠).

حوادث التاريخ قيم المستقبل:

٩- إني لخائفٌ أن أُسأل عنك:

رأى عمر ﷺ جَمَلاً تبدو عليه مظاهر الإعياء، والمرض، فتقدم من الجمل وأخذ يفحصه- وهو الذي كان يرعى إبل أبيه- وهو يقول: إني أخاف أن أُسأل عنك[١]. وهو القائل: «لو أنَّ شاةً عثَرت في طريقها لخفت أن يسألني ربي عنها».

فهذا موقفٌ من المواقف العمريَّة التي تدلُّ على الرأفة والرحمة بالبهائم، فيا ليت الشباب الحائر يطالع تاريخه، ويُلمُّ بإسلامه، ليعرف: أنَّه ما من قاعدة إنسانيَّة تنفع المجتمع البشريِّ إلا ولها في الإسلام ذكر وتنظيم حتى لا ينبهروا بالغرب الذي يباهي الأمم بإنشاء جمعيَّات الرفق بالحيوان، على أنَّها مظهر من مظاهر إنسانيَّته الفاضلة، وحتَّى لا يقلده شبابنا ظنَّاً منهم أنهم أصحابها، وليدركوا أننا أساتذتهم في الرفق بالحيوان [٢] وفي كلِّ شيءٍ نافع.

ولكن من ترك شريعة الله بعد علمٍ بها، استخفه الله بين الخلائق والأمم.

١٠- زلزلة الأرض في عهد الفاروق:

تزلزلت الأرض بالناس على عهد عمر ﷺ، فقال: أيها الناس! ما كانت هذه الزلزلة إلا على شيءٍ أحدثتموه، والذي نفسي بيده لئن عادت؛ لا أُساكنُكم فيها أبداً[٣].

١- الطبقات (٣/٢١٥).

٢- شهيد المحراب، ص (٢٢٨).

٣- الداء والدواء، لابن القيم، ص (٥٣).

١١- إصدار النقود الإسلاميَّة:

يقول المقريزي: أوَّل من ضرب النقود في الإسلام عمر بن الخطاب سنة ثماني عشرة من الهجرة على نقش كسرى، وزاد فيها: الحمد لله. وفي بعضها: لا إله إلا الله.

تاسعاً: من أهم نتائج الفتوحات في عهدي عمر وأبي بكر[١]:

١- إزالة الدولة الفارسية من الوجود، وفي الجانب المقابل حُجِّمت الدولة الروميَّة (البيزنطيَّة).

٢- وجود قيادة واحدة للمنطقة التي تقع في وسط الكرة الأرضية الممتدَّة من الهند شرقاً إلى المغرب غرباً، ومن بحر العرب جنوباً إلى آسيا الصغرى شمالاً، فكانت قيادة منظمة عادلة لها مؤسساتها وولاتها وخليفتها.

٣- لقد أنتجت الفتوحات الإسلامية حضارة إنسانيَّة رفيعة في ظلِّ دين الإسلام، فخرج المسلمون العرب من جزيرتهم إلى العالم يفتتحون شرقه وغربه حاملين رسالة نبيهم التي أمرهم بنشرها وتبليغها للعالم أجمع.

عاشراً: الأيام الأخيرة في حياة الفاروق:

كان أمير المؤمنين الفاروق ﷺ مثالاً للخليفة العادل، القويِّ الأمين، تولى أمر الأمة فكان القائد الأعلى للجيش، والفقيه المجتهد، والإداريِّ الحكيم ، أحكم بقيادته صرح الأمَّة، وتوطَّدت في عهده دعائم الدَّولة الإسلاميَّة، فتحققت بقيادته أعظم الانتصارات على الفرس في معارك الفتوح، فكانت القادسيَّة، والمدائن، ونهاوند، وتمَّ تحرير بلاد الشام ومصر من سيطرة الروم البيزنطيين[٢].

١- عمر بن الخطاب، د. الصلابي، ص (٦٥٥، ٦٥٦).

٢- الخليفة عمر، د. العاني، ص (١٥١).

أ- مقتل عمر رضي الله عنه:

قال أبو رافع ﷺ: كان أبو لؤلؤة عبداً للمغيرة بن شعبة، وكان يصنع الأرحاء[1]، وكان المغيرة يستغله كلَّ يوم بأربعة دراهم، فلقي أبو لؤلؤة عمر ﷺ، فقال: يا أمير المؤمنين إنَّ المغيرة قد أثقل عليَّ غَلتي، فكلّمه أن يخفّف عنّي! فقال عمر ﷺ: «اتقِ الله وأحسن إلى مولاك» ونيَّة عمر أن يلقى المغيرة فيكلمه ليخفف عنه- فغضب العبد، وقال في نفسه: وسع كلَّهم عدلهُ إلا أنا ؟! فأضمر على قتله، فاصطنع خنجراً له رأسان، وسمَّه، وجاء في صلاة الغداة فقام وراء عمر ﷺ، فلمَّا كبَّر عمر ﷺ للصلاة، ضربه أبو لؤلؤة في كتفه، وخاصرته فسقط جريحاً. يقول عمرو بن ميمون: سمعته لمَّا طُعن يقول: ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ [الأحزاب: ٣٨].

ب- اللحظات الأخيرة:

يُحدثنا عثمان بن عفان ﷺ عن اللحظات الأخيرة في حياة الفاروق ﷺ فيقول: أنا آخركم عهداً بعمر، دخلت عليه، ورأسه في حجر ابنه عبد الله بن عمر، فقال له: ضع خدي على الأرض، فقال عبد الله: فهل فخذي والأرض إلا سواء ؟ قال: ضع خذي على الأرض لا أمَّ لك! ففعل، فسمعت عمر يقول: ويلي وويل أمِّي إن لم يغفر الله لي! حتى فاضت روحه[2].

جـ- تاريخ موته، ومبلغ سنّه:

قال الذهبي: استشهد يوم الأربعاء لأربع أو ثلاث بقين من ذي الحجة، سنة ثلاث وعشرين من الهجرة، وهو ابن ثلاث وستين سنة على الصحيح[3].

١- الأرحاء، جمع رحا، وهي التي يُطحن بها.

٢- فاضت: خرجت، صحيح التوثيق في سيرة وحياة الفاروق، ص (٣٨٣).

٣- محض الصواب (٣/٨٤٠).

ثناء ابن مسعود، وآراء المستشرقين بعمر:

كان عبد الله بن مسعود ﷺ عندما يُذكر له عمر ﷺ؛ يبكي حتَّى تبتلَّ الحصى من دموعه، ثمَّ يقول: إنَّ عمر كان حصناً للإسلام، يدخلون فيه، ولا يخرجون منه، فلمَّا مات انثلم الحصن [1].

قال موير في كتابه ((الخلافة)): كانت البساطة، والقيام بالواجب من أهمِّ مبادئ عمر، وأظهر ما اتصفت به إدارته من عدم التَّحيز والتَّعبد، وكان يُقدر المسؤولية حقَّ قدرها[2].

قال الدكتور مايكل هارت في كتابه ((المئة الأوائل))- وقد جعل عمر في المرتبة الحادية والخمسين- «إن مآثر عمر مؤثرةٌ حقاً، وبدون فتوحاته السريعة كان من المشكوك به أن ينتشر الإسلام على هذا النحو الذي هو عليه الآن، زد على ذلك أن معظم الأراضي التي فتحها في زمنه بقيت عربية منذ ذلك العهد حتى الآن»[*].

١- الطبقات الكبرى (٣/٢٨٤)

٢- الفاروق عمر، محمد رشيد رضا، ص (٥٤، ٥٥).

*- الأوائل، د. مايكل هارت، ص (١٦٤).

(٣) عثمان بن عفان
(٢٣-٣٥هـ)، (٦٤٤-٦٥٦م)

أولاً: نسبه، وكنيته، ومولده، وصفاته الخلقية، وأسرته:

١- نسبه:

هو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أميَّة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصيٍّ بن كلاب[١]. ويلتقي نسبه بنسب الرسول ﷺ في عبد مناف.

٢- كنيته:

كان يكنَّى في الجاهلية أبا عمرو، فلمَّا ولد له من رقيَّة بنت رسول الله غلامٌ سمَّاه عبد الله، فكنَّاه المسلمون أبا عبد الله[٢].

٣- مولده:

ولد في الطائف، وهو أصغر من رسول الله ﷺ بنحو خمس سنوات[٣].

٤- صفاته الخلقية:

كان رجلاً ليس بالقصير، ولا بالطويل، رقيق البَشَرَة كثَّ اللحية، عظيم ما بين المنكبين، كثير شعر الرأس، طويل الذراعين، قد كسا ذراعيه جعد الشَّعر، أبيض اللون، وقيل: ربما أسمر اللون[٤].

١- الطبقات لابن سعد (٥٣/٣).

٢- التمهيد والبيان، ص (١٩).

٣- عثمان بن عفان، صادق عرجون، ص (٤٥).

٤- صفة الصفوة (٢٩٥/١)، صحيح التوثيق في سيرة وحياة ذي النورين، ص (١٥)، تاريخ الطبري (٤٤٠/٥).

٥- أسرته:

أ- أمُّه وأبوه:

أمُّه أروى بنت كُرَيْز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس[١]، أسلمت وكانت وفاتها في خلافة ابنها عثمان ﷺ. أمَّا أبوه فمات في أيام الجاهليَّة[٢].

ب- زواجه من ابنتي رسول الله:

*** رقيَّة بنت رسول الله:**

بعد أن أسلم عثمان ﷺ- سنأتي على إسلامه لاحقاً- أكرمه الله تعالى بالزواج من بنت رسول الله ﷺ رقيَّة، وقصة ذلك: أنَّ رسول الله ﷺ كان قد زوَّجها من عتبة بن أبي لهب، وزوَّج أختها أمَّ كلثوم من عتيبة بن أبي لهب، فلمَّا نزلت سورة المسد: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝٥﴾ [المسد: ١-٥].

قال لهما أبو لهب: فارقا ابنتي محمد؛ ففارقاهما قبل أن يدخلا بهما كرامةً من الله تعالى لهما[٣].

وما كاد عثمان ﷺ يسمع بخبر طلاق رقيَّة حتَّى استطار فرحاً... وخطبها من رسول الله ﷺ فزوجها منه، وزفتها أمُّ المؤمنين خديجة بنت خويلد، وقد كان عثمان ﷺ من أبهى قريش طلعة، وهي تضاهيه جمالاً، فكان يقال لها حين زُفَّت إليه:

١- التمهيد والبيان، لمحمد يحيى الأندلسي، ص (١٩).

٢- الخلافة الراشدة والدولة الأموية، د. يحيى اليحيى، ص (٣٨٨).

٣- ذو النورين عثمان، محمد رشيد رضا، ص (١٢).

أحسن زوجين رآهما إنسان رقيةُ، وزوجها عثمان(*).

واستمرَّ زواجهما بسعادةٍ وهناء، ورزقا بغلامٍ فسمَّياه على اسم والد الرسول ﷺ عبد الله وتوالت الأيام حتَّى كانت غزوة بدر؛ حينها خرج المسلمون لغزوتهم وكانت رقيَّة مريضةً بمرض الحصبة، ولزمت الفراش، فأراد عثمان ﷺ أن يخرج مع الجيش، إلا أنَّه تلقَّى أمراً من الرسول ﷺ يطلب منه البقاء إلى جانب زوجته رقيَّة لتمريضها والاعتناء بها، فامتثل عثمان ﷺ لهذا الأمر، وبقي إلى جوار زوجته الصابرة الطاهرة؛ إذ اشتدَّ بها المرض وعانت سكرات الموت، فودَّعت الحياة وهي تشهد أن لا إله إلا الله، وأنَّ محمداً رسول الله، ولحقت بالرفيق الأعلى، ولم ترَ أباها؛ حيث كان ببدرٍ مع أصحابه الكرام يجاهدون في سبيل إعلاء كلمة الله، ثمَّ كان أن حُملَ جثمانها على الأعناق، وسار خلفه زوجها عثمان ﷺ وهو حزين، حتى إذا بلغت الجنازة البقيع؛ دُفنت رقيَّة هناك.

وبعد عودة النبي منتصراً من بدر علم بوفاة ابنته- رحمها الله- فخرج إلى البقيع، ووقف على قبرها يدعو لها بالغفران(١).

*** أمُّ كلثوم بنت رسول الله:**

عُرفت أمُّ كلثوم رضي الله عنها بكنيتها، ولا يُعرف لها اسمٌ إلا ما ذكره الحاكم عن مصعب الزبيري: أنَّ اسمها أميَّة، وهي أكبر سنَّاً من فاطمة رضي الله عنها(٢).

تروي لنا الصدِّيقة بنت الصدِّيق رضي الله عنهما خبر زواج أم كلثوم من عثمان فتقول: لما زوج النبيُّ ابنته أمَّ كلثوم؛ قال لأم أيمن: ((هيِّئي ابنتي أمَّ كلثوم،

١- دماءٌ على قميص عثمان، ص(٢٠)، نساء أهل البيت، أحمد خليل جمعة، ص(٤٩١- ٥٠٤).

٢- الدوحة النبوية الشريفة، فاروق حمادة، ص (٤٥، ٤٦).*- أنساب الأشراف، ص(٨٩).

وزفيها إلى عثمان...)) ففعلت ذلك، ثمَّ جاءها النبيُّ ﷺ بعد ثلاثة أيَّام فدخل عليها وسألها: ((يا بُنيَّة كيف وجدت بعلك..؟ قالت: خير بعل[1])). وكان ذلك سنة ثلاثٍ من الهجرة النبويَّة.

ولم تزل أمُّ كلثوم عند عثمان رضي الله عنهما إلى أن توفيت في شعبان سنة تسعٍ من الهجرة، بسب مرضٍ نزل بها، وصلَّى عليها النبيُّ ﷺ [2].

لقد تأثر عثمان ﷺ وحزن حزناً شديداً على فراقه لأم كلثوم، ولما رأى رسول الله ﷺ عثمان ﷺ وهو يسير منكسراً، وفي وجهه حزن لما أصابه، دنا منه وقال: ((لو كانت عندنا ثالثةٌ لزوجناكها يا عثمان))[*]، وهذا دليلٌ على حب رسول الله ﷺ لعثمان، ودليل وفاء عثمان ﷺ لنبيه، وتوقيره.

جـ- أبناؤه:

كان له من الأبناء تسعة ذكور، وأمَّا من البنات فله سبعٌ؛ ذلك أنَّه تزوَّج غير ابنتي رسول الله ﷺ ستَّ نساء[3]. أمَّا ابنه عبد الله من رقيَّة بنت رسول الله ﷺ فقد توفي في السنة الرابعة للهجرة، وكان عمره ستَّ سنوات[4].

١- السيرة النبوية، لأبي شهبة (٢/٢٣١)، دماء على قميص عثمان، ص (٢٢).

٢- البخاري، كتاب الجنائز، رقم (١٣٤٢).

٣- تاريخ الطبري (٥/٤٤١)، التمهيد والبيان، ص (١٩).

*- مجمع الزوائد للهيثمي (٩/٨٣)، إسناده حسن لما له من شواهد.

٤- الأمين ذو النورين، ص (٣٦٥)، التمهيد، ص (١٩).

ثانياً: مكانته في الجاهلية، وكيفيةُ إسلامه:

كان ﷺ في أيَّام الجاهليَّة من أفضل النَّاس في قومه؛ فهو ثريٌّ، شديد الحياء، عذبُ الكلمات، فكان قومه يحبونه أشدَّ الحب ويوقِّرونه، ولم يسجد في الجاهليَّة لصنم قط، ولم يشرب خمراً في جاهليَّته، وكان يقول: إنَّها تُذهب العقل[1].

وكان قد اهتمَّ بتجارته التي ورثها عن أبيه، ونمت ثروته، وأصبح يعدّ من رجالات بني أميَّة الذين يُقدرون عند قريشٍ بأموالهم ونسبهم.

أشرق نور الإسلام برسالةِ محمد ﷺ، وكان عثمان ﷺ قد ناهز الرَّابعة والثلاثين من عمره حين دعاه أبو بكر ﷺإلى الإسلام، ولم يُعرف عنه تلكُّؤٌ، أو إبطاء، بل كان سبَّاقاً أجاب على الفور دعوة الصدِّيق، قال أبو إسحاق: كان عثمان أوَّل النَّاس إسلاماً بعد أبي بكرٍ، وعلي، وزيد بن حارثة ﷺ أجمعين [2].

ثالثاً: من مساهمته الاقتصادية في بناء الدولة:

١- بئر رومة:

كانت بئر رومة قبل قدوم النبي ﷺ لا يشرب منها أحدٌ إلا بثمن، وكانت لرجل من بني غفار، فلمَّا قدم المهاجرون المدينة استنكروا الماء، فقال النبيُّ ﷺ لصاحبها (تبيعها بعينٍ في الجنَّة؟)) فقال: يا رسول الله ليس لي، ولا لعيالي غيرها. فبلغ ذلك عثمان ﷺ فاشتراها بخمسة وثلاثين ألف درهم، ثم أتى النبي ﷺ فقال له: أتجعل لي فيها ما جعلت له ؟ قال: ((نعم!)) قال: فقد جعلتها للمسلمين[3].

١- موسوعة التاريخ الإسلامي، لأحمد شلبي (٦١٨/١).

٢ - السيرة النبوية لابن هشام (٢٨٧/١، ٢٨٩).

٣- تحفة الأحوذي بشرح سنن الترمذي (١٩٦/١٠).

٢- توسعة المسجد النبويِّ:

بعد أن بنى رسول الله مسجده في المدينة صار المسلمون يجتمعون فيه لكلِّ أمرٍ يخص دينهم، وكثرَ النَّاس حتى ضاق بهم المسجد، فقال رسول الله: ((من يشتري بقعة آل فلان، فيزيدها في المسجد بخيرٍ له منها في الجنَّة ؟)) فاشتراها عثمان رضي الله عنه من صلب ماله[١].

٣- جيش العُسْرة:

عندما أراد رسول الله ﷺ الرحيل إلى غزوة تبوك حثَّ الصحابة الأغنياء على البذل لتجهيز الجيش الذي سيغزو الروم، فأنفق الصحابة ﷺ كلٌّ حسب طاقته وجهده، أمَّا عثمان ﷺ فقد أنفق نفقة عظيمة لم ينفق أحدٌ مثلها[٢].

يقول ابن شهاب الزهري: قدم عثمان لجيش العسرة في غزوة تبوك تسعمئةٍ وأربعين بعيراً، وستين فرساً أتم بها الألف، وجاء إلى رسول الله بعشرة آلاف دينارٍ صبها بين يديه، فجعل رسولُ الله يقلبها بيديه، ويقول: ((ما ضرّ عثمان ما عمل بعد اليوم)) كررها مرتين[*].

رابعاً: في عهد الصديق:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: مرَّت ضائقةٌ على عهد الصديق، فاجتمع الناس إليه، فقالوا: السماء لم تمطر، والأرض لم تُنبت، والنَّاس في جوعٍ شديد، فقال أبو بكر ﷺ: انصرفوا، واصبروا، فإنكم لا تُمسون حتَّى يُفرّج الله

١- صحيح سنن الترمذي للألباني (٣/٢٠٩)، رقم (٢٩٢١).

٢- الحكمة في الدعوة إلى الله، ص (٢٣١).

*- سنن الترمذي رقم (٣٧٨٥). صحيح التوثيق، ص (٢٦).

الكريم عنكم. قال: فما لبث أن جاء عثمان ﷺ من الشام، ومعه مئة راحلةٍ من الطعام، فاجتمع الناس إلى بابه، فخرج إليهم وقال: ماذا تريدون ؟ فشكوا له حالهم... ثمَّ قالوا: قد بلغنا أنَّ عندك طعاماً فبعنا حتَّى نوسع على فقراء المسلمين. فقال: ادخلوا فاشتروا، فدخل التجار فإذا الطعام موضوعٌ في داره، فقال: يا معشر التجار كم تربحونني على شرائي من الشام ؟ قالوا: للعشرة اثنا عشر. فقال: قد زادوني. قالوا: للعشرة خمسة عشر. فقال: قد زادوني. قال التجار: يا أبا عبد الله ما بقي في المدينة تجَّار غيرنا فمن زادك ؟ قال: زادني الله تبارك وتعالى بكل درهم عشرة، أعندكم زيادة ؟ قالوا: اللهم لا! قال: فإني أُشهد الله أني قد جعلت هذا الطعام صدقةً على فقراء المسلمين![1].

حوادث التاريخ قيم المستقبل:

قال ابن عباس رضي الله عنهما: فرأيت من ليلتي رسول الله ﷺ في المنام، وهو على فرسٍ أبيض، عليه حلَّةٌ من نور في رجليه نعلان من نور، وبيده قصبةٌ من نور، وهو مُستعجل فقلت: يا رسول الله! إني قد اشتدَّ شوقي إليك، وإلى كلامك، فأين تُبادر ؟، قال: ((يا ابن عباس! إنَّ عثمان قد تصدَّق بصدقةٍ، وإنَّ الله قد قبلها منه، وزوَّجه عروساً في الجنة، وقد دُعينا إلى عرسه))[2].

فهل عسى أن يفتح الله تعالى آذان عبَّاد المال، ومحتكري قوتِ العباد شحَّاً، وجشعاً إلى صوت هذه العظمة العثمانيَّة حتى تلين قلوبهم، وتُملأ رحمة على الفقراء والأرامل والمساكين، الذين طحَنتهم أزمة الحياة، واعتصرت دماءهم شراباً لذوي القلوب المتحجِّرة من الأثرياء ؟ فما أحوج المسلمين اليوم لنفحة عثمانيَّة في

١- الرقة والبكاء، لابن قدامة، ص (١٩٠). الخلفاء الراشدون، حسن أيوب، ص (١٩١).

٢- الرقة والبكاء، ص (١٩٠).

إنفاق الأموال على الفقراء، والمساكين، فهم جُزءٌ من مجتمعاتنا، وإصلاح حالهم هو إصلاحٌ لحالنا أيضاً [1].

خامساً: في عهد الفاروق:

لما اتسعت الفتوحات، وكثرت الأموال؛ جمع عمر ﷺ ناساً من أصحاب رسول الله ليستشيرهم في هذا المال، فقال وزيره وصاحب مشورته عثمان ﷺ: أرى مالاً كثيراً يسع الناس وإن لم يُحصَوا حتى يعرف من أخذ منهم ممن لم يأخذ خشيت أن يختلط الأمر، فأقرَّ عمر رأي عثمان ﷺ، وانتهى بهم ذلك إلى تدوين الدواوين[2].

سادساً: بيعته للخلافة:

بعد أن طُعن عمر ﷺ بسيف مسموم على يد أبي لؤلؤة، جمع عمر الناس وجعل أمر الخلافة شورى بين ستَّةٍ من الصحابة هم: علي بن أبي طالب، عثمان ابن عفان، الزبير بن العوَّام، سعد بن أبي وقاص، عبد الرحمن بن عوف، وطلحة ابن عبيد الله رضي الله عنهم جميعاً [3].

> يقول الذهبي بأمر شورى خلافة عثمان: ومن أفضل أعمال عبد الرحمن بن عوف عزلُه نفسه من الأمر وقت الشورى، واختياره للأمة من أشار به أهل الحل والعقد من المسلمين، فنهض بالأمر أتم نهوض حتى جمع الأمة على عثمان بن عفان.

١- عثمان بن عفان، الصادق عرجون، ص (٥٢).

٢- تاريخ الطبري (٢٠٣/٥)

٣- البداية والنهاية (١٤٢/٧).

سابعاً: أخبار خلافته:

١- تفقد أحوال الرعيَّة:

كان رضي الله عنه ودوداً رؤوفاً يسأل عن أحوال المسلمين، ويتعرَّف مشكلاتهم ويطمئن على غائبهم. وكان ﷺ يفرض العطاء للمواليد من بيت مال المسلمين[١].

٢- الإنفاق من الزكاة على الطَّعام للفقراء، وأبناء السبيل:

سنَّ عثمان ﷺ سنَّةً جديدةً، فكان يضع الطعام في المسجد في رمضان، وقال: هو لابن السبيل، والمعتكف في المسجد، والمعتّرين [٢]. أضف إلى ذلك أن الإنفاق العام على الحجِّ كان من بيت المال وكذلك كسوة الكعبة حيث كانت من كتَّان يُؤتى به من مصر[٣].

٣- الإنفاق على إنشاء أوَّل أسطول بحري:

أَسهم بيت مال المسلمين في إنشاء أوَّل أسطول بحري في الإسلام في عهد عثمان ﷺ، وذلك برأي وتنفيذ من معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما، وسيأتي دور هذا الأسطول عند الحديث عن الفتوحات، أمَّا قصة إنشائه فندعها إلى الحديث عن عبقريِّ العرب معاوية بن أبي سفيان.

٤- الأذان الثاني يوم الجمعة:

قال رسول الله: «عليكم بسنَّتي، وسنَّة الخلفاء الراشدين من بعدي»[٤].

١- تحقيق مواقف الصحابة (٣٩٦/١).

٢- تاريخ الطبري (٢٤٥/٥). والمعتّر: الفقير، المعترض للمعروف بدون سؤال.

٣- السياسة المالية لعثمان، ص (١٤٠، ١٤١).

٤- سنن أبي داود، كتاب السنة رقم (٤٦٠٧)، وسنن الترمذي، كتاب العلم، رقم (٢٦٧٦).

إنَّ عثمان ﷺ من الخلفاء الراشدين، ورأى مصلحة أن يزاد هذا الأذان؛ لتنبيه النَّاس عن قرب وقت صلاة الجمعة بعد أن اتسعت رقعة المدينة، فاجتهد في هذا، ووافقه جميع الصحابة ﷺ، واستمرَّ العمل بذلك لم يخالفه أحد إلى يومنا هذا، فهي سنَّةٌ بإجماع المسلمين[1].

5- عثمان يسبق المشرعين بأحكامه:

كان عثمان ﷺ يرى الحجر على المفلس؛ فإذا حجر عليه اقتسم الدائنون ماله بنسبة ديونهم، لكن إن وجد بعض دائنيه سلعته التي باعه إياه بعينها عنده؛ جاز له أن يفسخ البيع، ويأخذ سلعته، فهو أحق بها من غيره[*].

ثامناً: معركة ذات الصواري فخر المسلمين وليتهم يذكرون:

استمرَّت حركة الفتوحات زمن عثمان ﷺ على سابق عهدها أيام خليفتي رسول الله، إلا أنَّ الجديد في الأمر هو الغزو البحريِّ، فبفضلٍ من الله، ثمَّ بفضلٍ عبقريِّ العرب معاوية ﷺ، وحِكمَةِ كريمهم عثمان ﷺ أُنشئ أول أسطول بحريٍّ للمسلمين، فأرهب روما بأسرها، وضمن للعرب فتوحاتٍ عظيمةً في إفريقيَّة، إلا أنَّ ذلك لم يعجب قسطنطين ملك الإمبراطوريَّة البيزنطيَّة وقتها، فكانت معركةُ ذات الصَّواري، وهي أول معركةٍ بحريَّة حاسمة خاضها المسلمون.

١- حقبةٌ من التاريخ، عثمان الخميس، ص (٨٨).

*- موسوعة فقه عثمان بن عفان، ص (١١٩).

١- قوَّاد المعركة:

عبد الله بن سعدٍ بن أبي سرح[١] قائد للمسلمين، وقسطنطين ملك بيزنطة قائد للروم.

٢- أحداث المعركة [٢]:

قال مالك بن أوس: كنت معهم - في ذات الصَّواري- فالتقينا في البحر، فنظرنا إلى مراكب ما رأينا مثلها قطُّ، وكانت الرِّيح علينا- أي لصالح مراكب الروم- فأرسينا ساعةً، وأرسوا قريباً منَّا، ثمَّ سكتت الريح عنَّا، فقلنا للروم: إن أحببتم ننزل إلى السَّاحل فنقتتل، حتَّى يُكتب لأحدنا النصر، وإن شئتم فالبحر. فصاحوا صيحةً واحدة: بل الماء، الماء، الماء!.

وبات الفريقان تلك الليلة في عرض البحر، وموقف المسلمين حَرِجٌ، فبات المسلمون يصلُّون، ويدعون الله، ويذكرونه، ويتهجّدون، فكان لهم دويٌّ كدويِّ النحل، على نغمات تلاطم الأمواج بالمراكب، أمَّا الروم؛ فباتوا ليلتهم يضربون النواقيس في سفنهم.

وأصبح القوم من ليلتهم، فأراد قسطنطين أن يُسرع في القتال، أمَّا عبد الله ابن سعدٍ بن أبي سرح فإنَّه لما فرغ من صلاته إماماً للصُّبح، استشار رجال الرأي عنده؛ فاتفق معهم على خطَّةٍ رائعةٍ هي: أن يجعلوا المعركة بريَّةً على الرغم من أنَّهم في عرض البحر، فأمر عبد الله جنده بأن إذا بدأت المعركة اقتربوا من سُفن

١- عبد الله بن سعد بن أبى السرح.. بن لؤي القرشي: أسلم قبل الفتح وهاجر، ثم ارتد فأهدر النبي دمه، ثمَّ استأمن له عثمان بن عفان من النبي ﷺ يوم الفتح؛ فقد كان أخاه من الرضاعة، فأسلم بعد ذلك وحسن إيمانه.

٢- تاريخ الطبري (٢٩٢/٥)، ذات الصواري، ص(٦٤-٦٨)، تاريخ ابن خلدون (٤٦٨/٢).

الأعداء، حتَّى تلامس سفنكم سفن العدوِّ، ثمَّ فلينزل الفدائيون، أو- رجال الضفادع البشريَّة في عرفنا الحالي- إلى الماء، ويربطوا السفن الإسلاميَّة بسفن الروم بحبالٍ متينة، فتصبحَ كلُّ عشرٍ أو عشرين منها متَّصلةٌ مع بعضها، فكأنَّها قطعةُ أرضٍ ستجري عليها المعركة.

وصَفَّ عبد الله بن سعد المسلمين على نواحي السفُنِ يعظهم، ويأمرهم بتلاوة القرآن الكريم، ولا سيَّما سورة الأنفال، لما فيها من معاني الوحدةِ، والثبات والصبر.

وبدأ القتال، والروم تحسب نفسها منتصرة حينما اختارت الماء، فإذ بهم ترتعد فرائصهم من اقتراب سفن المسلمين من سفنهم، ثمَّ قفزِ المسلمين عليهم ، وبذلك نُفذت الخطة كما رسمها أهل الشورى، وسالت الدماء الغزيرة، واصطبغت بها صفحة الماء، فصار أحمر، وترامت الجثث في الماء وتساقطت فيه، وقتل من المسلمين الكثير، ومن الروم ما لا يحصى، وفي أثناء ذلك حاول الروم أن يُغرقوا سفينة القائد العام للمعركة عبد الله بن أبي سرح؛ كي يبقوا جند المسلمين دون قائد، فتقدَّمت سفينة روميَّة من سفينته، وألقت عليها السلاسل، وأخذت تسحبها لتنفرد بها، فألقى (علقمة بن يزيد) بنفسه إلى البحر فقطع السلاسل بسيفه، وأنقذ السفينة وقائدها.

وهكذا صمد المسلمون وصبروا كعادتهم في معاركهم، فكتب الله لهم النَّصر بما صبروا، وكاد الملك قسطنطين أن يقع أسيراً في يد المسلمين، لكنَّه تمكَّن من الفرار ووصل جزيرة صقلية... فسأله أهلها عن أمره، فأخبرهم، فقالوا: شمَّتَّ النصرانيَّة، وأفنيت رجالها، لو دخل المسلمون علينا أرضنا لن نجد من يردَّهم، فقتلوه شرَّ قتلة.

٣- بعض الآراء بمعركة ذات الصواري[١]:

الطبري وصفها بقوله: إنَّ الدم كان غالباً على الماء في هذه المعركة. المؤرخ البيزنطي (ثيوفانس): كانت ذات الصَّواري يرموكَ ثانية على الروم.

٤- نتائج المعركة[٢]:

أ- أدركت القسطنطينية فشل خططها في استرداد هيبتها، أو استرجاع مصر، أو الشام، وانطلق المسلمون في عرض البحر، تداعب رياحه خدودهم، وتشق سفنهم أمواجه حتى غدا بحر الروم، بحيرةً للمسلمين، ففتحت قبرص، وكريت[٣]، وصقلية، وجزر البليار[٤]، ووصلوا إلى جنوة، ومرسيليا[٥].

ب- قُتل قسطنطين، فتولى ابن قسطنطين الرابع من بعده، وكان صغير السنِّ، مما جعل الظروف مواتية لقيام حملات برية، وبحرية على الأراضي الرومية.

تاسعاً: فتنة قتل عثمان بن عفان:

١- تمهيد:

دامت خلافة عثمان ﷺ اثنتي عشرة سنةً، شهدت خلالها الأمَّة الإسلاميَّة تغيرات في مجالات الحياة كافة؛ فقد كثُر المال في أيدي النَّاس، واشتغل عدد كبير

١- تاريخ الطبري (٥/٢٩٣). ذات الصواري، ص (٦٧).

٢- عثمان بن عفان، د. الصلابي، ص (٢٣٠). التاريخ الإسلامي (١٢/٤٠٧).

٣- كريتِ (باليونانية: Κρήτη): هي أكبر الجزر اليونانية وخامس أكبر جزيرة في البحر الأبيض المتوسط.

٤- جزر البليار: تقع في جنوب إسبانيا الشرقي في البحر الأبيض المتوسط.

٥- مَرْسِيلِيَا: ثاني أكبر مدن فرنسا بعد العاصمة باريس، وثالث أكبر مدينة من حيث عدد السكان بعد مدينة باريس ومدينة ليون، تقع في جنوب فرنسا على ساحل البحر الأبيض المتوسط.

منهم بالتجارة حتى أخذت الدنيا وقته، أضف إلى ذلك ظهور جيل جديد من الشباب المتحمس للمناصب والمال، فقد اتسعت رقعة الدولة الإسلاميَّة ودخل الناس أفواجاً في الإسلام، فلم يعد مجتمع خلافة عثمان كمجتمع أبي بكرٍ وعمر رضي الله عنهما مجتمع صحابة وتابعين، فأدَّى تفاعلُ تلك الأسباب مجتمعة إلى استيقاظ المتآمرين على أمَّة الإسلام، ليبدؤوا خطتهم الهادفة إلى فتح باب الفتن في هذه الأمة مبتدئين بعملهم من ضعاف الإيمان، والمسلمين الجدد.

> وإني أرى اعتماداً على أحداث التاريخ: أن الذي أشعل نار الفتنة زمن عثمان رضي الله عنه، ينتمي إلى المدرسة ذاتها التي أشعلت نيران حروب الردة أيام أبي بكرٍ رضي الله عنه. فإن رواد هذه المدرسة اللعينة وجدوا أنفسهم غير قادرين على خرق الصف الإسلامي وتغيير قيمِهِ بالمواجهة العنيفة وجهاً لوجه، لذلك لجؤوا إلى الخفاء يحرضون الناس بأساليب ملتوية زائفة، حتى يضمنوا طاعتهم واستعبادهم ثم ينطلقوا بهم إلى الأهداف التي أرادوا تحقيقها، وبذلك يكون المجرم من المسلمين أنفسهم، فلا أحد يشك به، وبذلك تتحقق أهداف العدو بأيدي الخونةِ من أبناء المجتمع المستهدف ذاته.

٢- تعريف بصاحب الفتنة وأهدافه:

أخذ بعض اليهود يتحيَّنون فرصة الظهور على مجريات الأحداث متظاهرين بالإسلام وهادفين إلى إشعال الفتنة في الأمة الإسلاميَّة، ومن هؤلاء: عبد الله بن سبأ[1] الذي لعب الدَّور الأكبر في أحداث الفتنة، وغاية ما جاء به ابن سبأ آراءٌ،

١- عبد الله بن سبأ الملقب بابن السوداء: يهوديٌّ من صنعاء، أظهر إسلامه في زمن عثمان ابن عفان، ظهر له نشاطٌ ملحوظ في العراق، والشام، ومصر خاصَّة، يرسم خططاً، ويدلي بآراء هدَّامة، ليلفت المسلمين عن دينهم، وطاعة خليفتهم، ويوقع بينهم الفرقة، والخلاف. تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة (١/٢٨٤).

ومعتقداتٌ هدَّامة ادَّعاها، واخترعها من قبل نفسه، وافتعلها من يهوديَّته الحاقدة، وجعل يروِّجها لغاية ينشدها، وغرض يستهدفه؛ وهو الدَّسُّ في المجتمع الإسلامي بُغية النيل من وحدته، وإذكاء نار الفتنة، وغرس بذور الشقاق بين أفراده، فأثمر مشروعه اللعين الذي أدَّى إلى قتل أمير المؤمنين عثمان ﷺ وتفرُّق الأمة شيَعَاً وأحزاباً[1].

٣- بدء التنفيذ[2]:

توجَّه ابن سبأ إلى الشام ليُفسد بعض أهلها، ويؤثر فيهم، ولكنَّه لم ينجح في هدفه الشيطانيِّ فقد كان معاوية ﷺ بالمرصاد له ولأفكاره، فانطلق منها إلى البصرة ليُجند الأتباع من المرتزقة الحاقدين، والرجال البُلهاء، وكان والي البصرة عبد الله بن عامر بن كريز، وكان حازماً عادلاً، فلمَّا وصل ابن سبأ إلى البصرة، نزل عند رجل خبيث من أهلها كان لصَّاً مجرماً، يُدعى حكيم بن جبلة.

وصار ابن جبلة يُقدِّمُ لابن سبأ أمثاله من المنحرفين، فيغرس في نفوسهم أفكاره، ويجنِّدهم بجمعيَّته السريَّة. فلمَّا علم ابن عامر بأمر ابن سبأ؛ استدعاه إلى داره فحدَّثه، ثمَّ أمر بنفيه خارج البصرة. فغادرها بعد أن ترك فيها رجالاً، وأتباعاً له، وجعل فيها فرعاً لحزبه السَّبئيِّ اليهوديِّ، ثمَّ كان أن ذهب إلى الكوفة، فوجد فيها رجالاً من المنحرفين، جاهزين لاستقباله فجنَّدهم لجماعته وحزبه، ولما علم به سعيد بن العاص أخرجه ونفاه من الكوفة، فتوجَّه إلى مصر، فأقام فيها، وعشَّشَ وباض وفرَّخ فيها، فاستمال أناساً هناك من الرَّعاع والبلهاء، فكان ابن سبأ يرتب الاتصالات السريَّة بين هذه البلدان، لتستمرَّ جهوده هو وأعوانه نحو ستِّ سنوات، حيثُ بدؤوا أعمالهم الشيطانيَّة سنة ثلاثين، ونجحوا في آخر سنة خمسٍ وثلاثين بقتل الخليفة عثمان بن عفان ﷺ.

١- تحقيق مواقف الصحابة (٣٢٧/١).

٢- الخلفاء الراشدون، للخالدي، ص (١٢٦...١٣٠).

٤- مشورة عثمان لولاة الأمصار:

بعث عثمان ﷺ إلى ولاة الأمصار واستدعاهم على عجل لينظروا في أمر هذه الفئة من الغوغاء، وولاته هم: عبد الله بن عامر، ومعاوية بن أبي سفيان، وعبد الله بن سعد، وأدخل معهم في المشورة سعيد بن العاص، وعمرو بن العاص وهم من الولاة السابقين، وكانت جلسة مهمَّة تباحثوا فيها بأمر الأخبار القادمة إلى المدينة التي هي عاصمة دولة الإسلام[١].

فجلس الصحابة ﷺ يتشاورون بأمر هؤلاء البغاة الذين انتشروا في بقاع الدولة الإسلامية يريدون أمراً فيه الخطر على المسلمين جميعاً، فكان الراجح على قولهم: إعلان الحرب على أصحاب الفتن، أو جمعهم من أقاليم الدولة والأمر بقتلهم. فقام عثمان بعد أن فرِغَ الولاة من الحديث فقال: «أمَّا ما أشرتم به عليَّ فقد سمعته، ولكلِّ أمر بابٌ يُؤتى منه، إنَّ هذا الأمر الذي يُخاف على هذه الأمة كائنٌ لا محالة، ووالله إنَّ رحا الفتنة لدائرةٌ، فطوبى لعثمان إن مات و لم يحرِّكها»[٢].

٥- اقتراحان من معاوية:

قبل أن يعود معاوية ﷺ إلى الشام أتى إلى عثمان ﷺ وقال له: يا أمير المؤمنين انطلق معي إلى الشام، قبل أن يهجم عليك من الأمور والأحداث ما لا قبلَ لك بها.

فقال عثمان ﷺ: لا أبيع جوار رسول الله ﷺ بشيءٍ، ولو كان فيه قطع عنقي، فقال معاوية ﷺ: إذاً أُرسل لك جيشاً من أهل الشام يقيم في المدينة لمواجهة الأخطار المتوقعة؛ فيدافع عنك وعن أهل المدينة، فقال عثمان ﷺ: لا حتى لا أُقلل على جيران رسول الله ﷺ أرزاقهم بجندٍ تساكنهم. فقال له معاوية ﷺ: فيا أمير المؤمنين والله لتُغتالن، أو لتُغزين. فقال عثمان ﷺ: فحسبي الله ونعم الوكيل![*].

وفي تلك المقالةِ شهادة تقديرٍ لفطنة وفراسة معاوية، وتعظيم لصبر وإيمان عثمان رضي الله عنهما؛ فعثمان أكثر الناس علماً بما ستؤول إليه الأمور، وهو إنما أراد أن لا يقاتل الخارجين عليه لأمرٍ سنورده لاحقاً.

١- معاوية بن أبي سفيان، ص (١٢٦).

٢- تاريخ الطبري (٣٥١/٥). *- تاريخ الطبري (٣٥٣/٥).

٦- عثمان يخترق صفوف المتآمرين بعد مجيئهم إلى المدينة [١]:

كان أمير المؤمنين عثمان ﷺ على درجةٍ من اليقظة والوعي ما أمكنه أن يتعرَّف خطط المتآمرين عليه قبل فعلها؛ فقد أرسل رجلين إلى صفوف المتآمرين بعد أن تظاهر بعقابهما فاستطاع الرجلان أن يدخلا ضمنهم ويعرفا خططهم، وعادا إلى عثمان ﷺ وأخبراه بما سمعوا. فنادى عثمان ﷺ الصلاة جامعة فأتى المتآمرون وهم عنده بالمدينة لم يُبدوا نواياهم بعد، فأقبل صحابة رسول الله ﷺ وأحاطوا بهم، وجلسوا جميعاً ليسمعوا كلام عثمان الذي دعا الناس إليه، فأخبرهم خبر القوم المتآمرين، وحقيقة ما يريدون؛ من تأكيد الشبهات عليه تمهيداً لخلعه، أو قتله، وقام الرجلان اللذان أرسلهما عثمان ﷺ إلى السبئيَّين، فشهدا بما أخبروهما به.

فقال المسلمون جميعاً في داخل المسجد: اقتلهم يا أمير المؤمنين، فرفض عثمان ﷺ قتلهم لأنهم مسلمون- في الظاهر- من رعيَّته، ولا يرضى أن يُقال: عثمان يقتل مخالفين له؛ ولذلك ردَّ عثمان ﷺ على طلب القتل بأن قال: لا نقاتلهم بل نعفو عنهم ونصفح، ثمَّ ننظر إلى شكواهم، وحججهم علينا. وهكذا اصطلح عثمان ﷺ مع كلٍّ وفد على حدة، ثمَّ انصرفت الوفود على دفعات إلى ديارها[٢].

٧- كيد أرباب الفتنة في كتابٍ مزعوم:

وبعد هذا الصلح عاد أهل الأمصار جميعاً راضين عن الخليفة عثمان فتبيَّن لمشعلي الفتنة أنَّ خطَّتهم قد فشلت، وأنَّ أهدافهم الدَّنيئة لم تتحقق، لذا خطَّطوا تخطيطاً آخر يشعل نار الفتنة من جديد، ويقتضي تدمير ما جرى من صُلح بين

١- تاريخ الطبري (٥/٣٥٤، ٣٥٥).

٢- فتنة مقتل عثمان (١/١٢٩).

أهل الأمصار وعثمان ﷺ، فبرز ذلك فيما يأتي: في أثناء طريق عودة أهل مصر، رأوا راكباً على جمل يتعرض لهم، ويفارقهم كأنَّه يريد الهرب من أيديهم وكأنَّ أفعاله تقول: «خذوني» فقبضوا عليه، وقالوا: ماذا تحمل؟ قال: أنا رسول أمير المؤمنين إلى عامله بمصر ففتشوه، فوجدوا معه كتاباً من عثمان ﷺ، وعليه خاتمه «مزور»، ففتحوا الكتاب فإذا فيه أمر بصلبهم أو قتلهم، فرجعوا إلى المدينة حتَّى وصلوها [1]، فأنكر عثمان أمر الكتاب، ونفى عن نفسه أن يكون أحدٌ قد كتب بذلك، فلم يصدّقوه [2].

والكتاب مزوَّرٌ وذلك لعدَّة أسباب[3]:

أ- أنَّ حامل الكتاب قد تعرَّض لهؤلاء المصريين، فأقبل عليهم مراراً، وهو لم يفعل ذلك إلا ليلفت الأنظار إليه، وكأنَّه يقول: معي شيءٌ مهمٌ بشأنكم! وإلا فلو كان حقاً من عثمان ﷺ؛ لخافهم وابتعد عنهم مسرعاً إلى عامل مصر لينفذ ما جاء به.

ب- كيف علم العراقيون بالأمر، وقد اتجهوا إلى بلادهم، وفصلتهم عن المصريين الذين أمسكوا بالكتاب المزعوم مسافةٌ شاسعة، فالعراقيون في الشرق والمصريون في الغرب، ومع ذلك عادوا جميعاً في آنٍ واحد، كأنما كانوا على ميعاد ؟ فلا يعقل هذا إلا إذا كان الذين زوروا الكتاب قد اتفقوا على ذلك بالمدينة ثمَّ تفرقوا بين أهل العراق ومصر ليحرّضوهم ويضمنوا عودتهم إلى المدينة.

١- تاريخ الطبري (٣٧٩/٥).

٢- البداية والنهاية (١٩١/٧).

٣- الدولة الأموية، د. يوسف العش، ص (٤٥، ٤٦). عثمان بن عفان، د. الصلابي، ص (٤١٥، ٤١٦).

ولذلك قال عليٌّ ﷺ: هذا والله أمرٌ قد أبرم بالمدينة.

٨- تضخم المشكلة والتوعد بالقتل:

بعد أن عادت الوفود المتآمرة بسبب ذلك الكتاب المزوَّر أعلنت الخروج على الخليفة عثمان ﷺ وحاصرته في داره. وتمَّ الحصار فعلاً، فقد أحاط الخارجون بداره وطلبوا منه خلع نفسه، أو يقتلوه [١]، فرفض خلع نفسه، وقال: لا أخلع سربالاً سربلنيه الله [٢]. يشير إلى ما أوصاه به رسول الله ﷺ، وسنأتي على ذكر ذلك.

٩- دفاع الصحابة عن عثمان رضي الله عنهم:

أ- علي بن أبي طالب: أرسل إلى عثمان ﷺ فقال: إنَّ معي خمسمئة درعٍ فائذن لي، فأمنع القوم عنك، فإنَّك لم تُحدث شيئاً يُستحيلُ به دمك، فقال: جُزيت خيراً ما أحبُّ أن يرهق دمٌ بسببي [٣].

ب- عبد الله بن الزبير: جاءه حاملاً سيفه، وقال: قاتلهم، فو الله لقد أحلَّ الله لك قتالهم يا أمير المؤمنين! فقال عثمان ﷺ: لا والله لا أقاتلهم أبداً[٤].

جـ- الأنصار: جاءته جماعةٌ من الأنصار، فوقفوا ببابه ودخل زيد بن ثابت ﷺ، وقال له: هؤلاء الأنصار بالباب، وإن شئت كنَّا أنصار الله مرتين، فرفض القتال، وقال: لا حاجة لي في ذلك[٥].

١- الطبقات لابن سعد (٦٦/٣).

٢- التمهيد، ص (٤٦، ٤٧).

٣- تاريخ دمشق، ص (٤٠٣).

٤- الطبقات لابن سعد (٧٠/٣) إسناده صحيح.

٥- فتنة مقتل عثمان (١٦٢/١).

١٠- صفة قتله:

بعد أن طال الحصار على عثمان ﷺ هاجم المرتدون الدَّار، فتصدَّى لهم الحسن بن علي، وعبد الله بن الزبير، ومحمد بن طلحة، ومروان بن الحكم[١]، وسعيد بن العاص ﷺ جميعاً، فنشب القتال بينهم، فناداهم عثمان: الله! الله! أنتم في حلٍّ من نُصرتي، فأبوا، ودخل غلمانُ عثمان لينصروه، فأمرهم ألا يفعلوا، بل إنَّه أعلن: أنَّه من كفَّ يده منهم؛ فهو حرٌّ[٢].

وهكذا استطاع عثمان ﷺ أن يُقنع المدافعين عنه، وألزمهم بالخروج من الدار، وخُلِّيَ بينه وبين المحاصرين، فلم يبق في الدار إلا عثمان وآله، وبعد أن خرج المدافعون عنه، أخرج المصحف، وأخذ يقرأ منه وكان إذ ذاك صائماً، فإذا برجل من المحاصرين يدخل عليه، فلمَّا رآه عثمان ﷺ قال له: بيني وبينك كتاب الله، فخرج الرجل، ثمَّ دخل عليه آخرُ فأسرع بخنقِه ثمَّ أهوى عليه بسيفه، فاتقاه عثمان ﷺ بيده فقُطعت، فقال: أما والله إنَّها لأول من خطَّت القرآن، وعلى إثر قطع اليد نفرَ الدم على المصحف الذي كان بين يديه يقرأ منه، وسقط على قوله تعالى: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٣٧].

ولما أحاطوا بعثمان ليُجهزوا عليه، قالت امرأته نائلة: دعوه فقد كان يُحيي الليل بركعة، يجمعُ فيها القرآن[٣]. وعلى هذا النحو المحزن قُتل عثمان بن عفان ﷺ.

١- رابع الخلفاء الأمويين.

٢- البداية والنهاية (٧/١٩٠)، الدولة الإسلامية في عصر الخلفاء الراشدين، ص (٢٨٢).

٣- الطبقات (٣/٧٦). فتنة مقتل عثمان (١/١٩١).

عاشراً: تاريخ قتله، وسنه عند استشهاده:

كان تاريخ مقتله ﷺ بـ ١٨/١٢/٣٥هـ [١]. وكان عمرُه عند وفاته رحمه الله اثنتين وثمانين سنة [٢].

ولكن لماذا لم يُقَاتلهم:

بعد ذكر أحداث هذه الفتنة التي حدثت في عهد عثمان ﷺ والتي أدت إلى قتله، يستغرب كثيرٌ منَّا لماذا لم يأمر عثمان ﷺ بقتال هؤلاء المتآمرين ؟ وهم على خطأ يجوز قتالهم عليه، وعثمان يمتلك كلَّ الأسباب والوسائل للقضاء عليهم فلماذا تركهم يفعلون فعلتهم هذه ؟. إنَّ الحقيقة تقول إنّ عثمان لم يقاتلهم للأسباب الآتية:

١- إخبار رسول الله ﷺ بأمر هؤلاء المتآمرين في كثرٍ من الأحاديث، وهو يشير إلى عثمان ﷺ بأنَّه هو من سيقُتل بسببهم:

* عن عبد الله بن حوالة قال: إنّ رسول الله قال: ((من نجا من ثلاثٍ؛ فقد نجا- كررها ثلاث مرَّات- موتي، والدَّجال، وقتل خليفةٍ مصطبرٍ بالحقِّ، معطيه))[٣]. والدلائل كلها تشير إلى عثمان[٤].

* عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: ذكر رسول الله ﷺ فتنةً، فمرَّ رجل، فقال: ((يُقتلُ فيها هذا المقنَّع يومئذٍ مظلوماً)) قال: فنظرتُ فإذا هو عثمان بن عفان ﷺ[٥].

١- تاريخ الطبري (٥/٤٣٥).

٢- فتنة مقتل عثمان (١/٢٠٤).

٣- المسند (٤/٤١٩) (٥/٣٤٦)، تحقيق: أحمد شاكر.

٤- فتنة مقتل عثمان (١/٤٤).

٥- فضائل الصحابة (١/٥٥١) إسناده حسن.

** إنَّ رسول الله عهد إليَّ عهداً، وإني صابرٌ نفسي عليه:

عن أبي سهلة، عن عائشة، قالت: قال: رسول الله ﷺ ((ادعوا لي بعض أصحابي))، قلت: أبو بكر ؟ قال: ((لا)) قلت: عثمان، قال: ((نعم!)) فلما جاء؛ قال: تنحّى، فجعل يُسارُّه[1]، ولون عثمان يتغيَّر، فلمَّا كان يوم الدَّار، وحُصِر؛ قلنا: يا أمير المؤمنين! ألا تقاتل ؟ قال: لا! إنَّ رسول الله عهد إليَّ عهداً، وإني صابرٌ نفسي عليه[2].

وفي بعض الروايات زيادةٌ تكشفُ عن بعض مكنون هذه المناجاة، فقد جاء فيها: أنَّ النبي ﷺ قال لعثمان رضي الله عنه: ((وإن سألوك أن تنخلع من قميصٍ قمصك الله عزَّ وجل فلا تفعل))[3].

فهذه الأحاديث تفسرُ لنا جليَّاً سبب إصرار عثمان رضي الله عنه على رفض القتال أثناء الحصار، كما يفسر لنا أيضاً سبب رفضه للتَّنازل عن الخلافة عندما عرض المتآمرون عليه ذلك، وهما موقفان طالما تساءل الباحثون والمؤرخون عن سببهما[4].

٢- ما جاء في قول عثمان رضي الله عنه: لن أكون أوَّل من خَلَفَ رسول الله ﷺ في أمته بسفك الدماء[5].

٣- علمه بأنَّ البغاة لا يريدون غيره، فكره أن يقي نفسه بالمؤمنين، وأحبَّ أن يقيهم بنفسه[6].

١- أي يناجيه بصوتٍ منخفض.

٢- فضائل الصحابة (٦٠٥/١) إسناده صحيح.

٣- المصدر السابق (٦١٣/١) إسناده صحيح، الطبقات (٦٦/٣، ٦٧).

٤- فتنة مقتل عثمان (٤٨/١).

٥- المصدر السابق (١٦٧/١)، المسند (٣٩٦/١) أحمد شاكر.

٦- المصدر السابق نفسه.

٤- في آخر أيام الحصار- وهو اليوم الذي قُتل فيه- نام ﷺ، فأصبح يُحدِّث الناس: رأيت النبيَّ ﷺ في المنام، ومعه أبو بكرٍ، وعمر، فقال لي: يا عثمان! أفطر عندنا اليوم. فأصبح صائماً، وقُتِل من يومه [١].

حوادث التاريخ قيم المستقبل

إنَّ فتنة مقتل عثمان ﷺ تدخل ضمنَ حوادثَ كثيرة أخبر عنها رسول الله ﷺ في حياته بأنَّها ستقع بالغيب، وإنَّ علم الغيب صفةٌ من صفات الله عزَّ وجل ليست لأحدٍ من خلقه، وإنَّما ذلك علمٌ أطلعه الله على رسوله خاصَّةً، وأمره أن يبِّينه للناس[٢]. وفي ما جرى من حوادثَ في فتنة مقتل عثمان أكبرُ برهانٍ على قول تعالى: ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٨].

ثمَّ هو أعظمُ درسٍ للبشريَّة كلِها من خليفتها الراشد عثمان بن عفان ﷺ؛ إذ علَّمنا بموقفه هذا من الفتنة أن نؤمن بقضاء الله وقدره حقَّ الإيمان، بل أن نؤمن بكلِّ جوارحنا بما وعدنا به الله سبحانه وتعالى، لا أن نركن لأنفسنا وندع الدنيا تسحبُنا إلى أودية جهنَّم فما الدنيا إلا دار عملٍ لدار بقاءٍ في جنَّات الخُلد.

١- الطبقات (٣/٧٥)، فتنة مقتل عثمان (١/١٧٥).

٢- فتنة مقتل عثمان (١/٤٨).

(٤) علي بن أبي طالب
(٣٥-٤٠هـ)، (٦٥٦-٦٦٠م)

أولاً: اسمه وكنيته:

هو علي بن عبد مناف[١] بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف[٢]. فهو ابن عمِّ رسول الله ويلتقي معه في جدِّه الأول عبد المطلب بن هاشم، ووالده أبو طالب شقيق عبد الله والد النبيِّ ﷺ. ويكنَّى بأبي الحسن نسبة إلى ابنه الأكبر الحسن وهو من ولد فاطمة بنت رسول الله[٣].

ثانياً: أسرته وصفاته الخلقية:

والده: أبو طالب كان كثير الولد، قليل المال، اعتنى بابن أخيه- رسول الله ﷺ- منذ أن كان صغيراً، وأحبَّه حبَّاً شديداً، ولما أشرقت شمس الإسلام وقف أبو طالب إلى جنب ابن أخيه يساعده، وينصره أمام قريش[٤]. كانت وفاته في شوال في السنة العاشرة من النبوَّة، وعمره يناهز الثمانين سنة، و لم يُعلن إسلامه[٥].

والدته: هي الصحابيَّة الجليلة فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف[٦].

صفاته الخلقية: كان حسنُ الوجه، كأنَّه القمر ليلة البدر حُسناً، ضخم البطن، عريض المنكبين، أصلع ليس في رأسه شعرٌ إلا من خلفه، كبير اللحية،

١- ولكن اعتادت العرب أن تناديه بأبي طالب.

٢- الطبقات الكبرى (١٩/٣)، صفة الصفوة (٣٠٨/١).

٣- البداية والنهاية (٢٢٣/٧).

٤- المرتضى ص (٢٤)، السيرة النبوية للغضبان، ص (١٨٤).

٥- بلوغ الأرب (٣٢٤/١).

٦- نسب قريش، ص (٤٠)، فضائل الصحابة (٦٨٥/٢).

شديد الساعد واليد قويٌّ شجاع[1].

ثالثاً: إسلامه، وفداؤه نفسه للنبي:

تربَّى علي ﷺ في بيت رسول الله ﷺ، فلمَّا بدأ مشوار الحبيب محمد ﷺ في نشر الدعوة وكانت ما زالت سرَّاً رأى عليٌّ رسول الله وزوجه خديجة يصليان، فقال علي ﷺ: ما هذا يا محمد ؟ فقال النبيُّ ﷺ: دين الله الذي اصطفاه للناس، فإني أدعوك إلى الله وحده، وأن تكفر باللات والعُزّى، فقال له علي: هذا أمرٌ عظيم ولا بدَّ لي من سؤال أبي، فقال له: يا علي إذا لم تسلم فاكتم، فمكث ليلته يفكر، ثمَّ جاء في الصباح الباكر فأعلن إسلامه دون ترددٍ أو خوف[2].

وهكذا أسلم علي ﷺ وحسُن إسلامه، وامتثل لأمر الله ورسوله ﷺ فباع دنياه طلباً للآخرة، ولعل الحادثة الآتية من أشهر أخباره ﷺ:

لما بدأت دعوة رسول الله ﷺ بالظهور، ودخل فيها عددٌ من رجال ونساء قريش، اجتمع كبار قريش في دار الندوة، وأجمعوا على قتل رسول الله ﷺ والتَّخلص منه، ولكنَّ الله تعالى أعلمَ نبيَّه بذلك؛ فأراد أن يُبقي أحداً في فراشه لينظر إليه القتلة فينتظرون خروجه، فكان اختياره لعليٍّ ﷺ[3]، ففعل ذلك، فاستغربَ القتلةُ رؤيته في الفراش بدلاً من رسول الله ﷺ؛ فسألوه: أين محمد؟، فقال: لا علم لي!، فعلموا أنَّ محمداً ﷺ نجا من كيدهم هذا[4].

١- الاستيعاب في معرفة الأصحاب (١١٢٣/٣).

٢- البداية والنهاية (٤/٣).

٣- الطبقات الكبرى (٢٢/٣)، تاريخ الخلفاء للسيوطي، ص (١٦٦).

٤- فتح الباري (٢٣٦/٧).

رابعاً: حياته مع القرآن:

* قال ﷺ: ((والله ما أُنزلت آيةٌ إلا وقد علمت فيمَ نزلت، وأين نزلت))[1].

* سُئل عليٌ رضي الله عنه عن قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ٢]. فقال: «الخشوع في القلب، ولا تلتفت في صلاتك»[2].

* قال ﷺ: «الزهد كله بين كلمتين من القرآن الكريم: قال سبحانه: ﴿لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ﴾ [الحديد: ٢٣][3].

خامساً: زواجه من فاطمة:

كان زواجهما سنة اثنتين للهجرة بعد وقعة بدر، وولدت له الحسن والحسين وأمَّ كلثوم وكانت وفاتها بعد وفاة الرسول ﷺ بستَّةِ أشهر فرضي الله عنها وأرضاها[4].

سادساً: بيعته للخلافة:

بعد أن توفي رسول اللهﷺ وأبو بكرٍ وعمر وعثمان ﷺ- على النحو الذي بيَّناه- كان لابدَّ لهذه الأمة من إمام يقودها، فأسرع الصحابة ﷺ إلى مبايعة عليٍّ ﷺ لما علموا من فضله وسابقته، وإليك نصَّ الحادثة:

١- الطبقات (٢/٣٣٨).

٢- الزهد لابن مبارك، ص (٤٠٣)، رقم (١١٤٨).

٣- فرائد الكلام، ص (٣٧٦).

٤- سير أعلام النبلاء (٢/١١٨، ١٣٤). حلة الأولياء (٢/٣٩، ٤٣).

عن محمد بن الحنفيَّة، قال: كنت مع عليٍ رحمه الله وعثمان محاصر، فأتاه رجلٌ فقال: إنَّ أمير المؤمنين مقتولٌ الساعة، فقام عليٌ ﷺ فأتى دار عثمان وتأكد من مقتله، فعاد إلى داره وأغلق الباب، فضرب النَّاس بابه ودخلوا عليه فقالوا: إنَّ هذا قد قُتل، ولا بدَّ للناس من خليفة، ولا نعلم أحداً أحقَّ بها منك، فقال لهم علي ﷺ: لا تريدوني فأني لكم وزيرٌ خيرٌ مني لكم أمير، فقالوا: لا والله لا نعلم أحداً أحقَّ بها منك، قال: فإن أبيتم عليَّ فإنَّ بيعتي لا تكون سرَّاً، ولكن أخرج إلى المسجد... فبايعه الناس [1].

سابعاً: أخبار خلافته مع المسلمين:

١- من حكمه ومواعظه رضي الله عنه:

كانت خلافة عليٍّ ﷺ على أساسٍ راشديٍّ عظيم، فكان يعظُ الناس ويفقّههم في دينهم، فتركت لنا الكتب حكماً رائعةً لهذا الخليفة الراشديِّ المؤمن، نذكر منها [2]:

- من قلَّ صدقه، قلَّ صديقه.
- من عَذُبَ لسانه، كثُرَ إخوانه.
- العفو عند المقدرة، شكرٌ للمقدرة.
- سُئل ﷺ عن خيار العباد فقال: الذين إذا أحسنوا استبشروا، وإذا أساؤوا استغفروا، وإذا ابتلوا صبروا، وإذا غضبوا غفروا[3].

١- كتاب السنة لأبي بكر الخلال، ص (٤١٥).

٢- من كتاب منهج علي بن أبي طالب، الصفحات من (٢٢٦- ٢٣٩).

٣- مروج الذهب (٤٣١/٢).

● وصف مرَّةً العبد المؤمن فقال: ينبغي للمؤمن أن يكون نظره عبرة، وسكوته فكرة، وكلامه حكمة [١].

● وحدَّث مرَّة أصحابه عن جزاء المعصية فقال: جزاء المعصية الوهن في العبادة، والضيق في المعيشة، والنقص في اللذة[٢].

● الترهيب من عدم الإنفاق: بشر مال البخيل بحادثٍ أو وارث، وقال في موضعٍ آخر: يعيش في الدنيا عيش الفقراء ويحاسب في الآخرة حساب الأغنياء[٣].

● وصفه للمرائي: قال للمرائي ثلاث علامات: يكسُلُ إذا كان وحده، وينشُط إذا كان في الناس، ويزيد في العمل إذا أُثني عليه، ويُنقص إذا ذمَّ به [٤].

٢- اهتمامه بالقضاء:

أ- مكان القضاء: أمر عليٌّ ﷺ شُريحاً القاضي بالجلوس في المسجد الأعظم الذي يكون وسط المدينة، ليسير وصول المتخاصمين إلى القاضي[٥].

ب- مجانيَّة الحصول على الحكم: كان يعطي القضاة مرتَّباتٍ تكفيهم من الرشوة، وتؤمن للخصمين حلَّ مشاكلهما مجَّاناً[٦].

جـ- عدم الصياح بالمتخاصمين: ولى عليٌّ ﷺ أبا الأسود الدؤلي القضاء، ثمَّ عزله، فقال: لم عزلتني وما خنت ولا جَنيت ؟ فقال: إنما رأيتك يعلو صوتك على الخصمين[٧].

١- المصدر السابق (٢/٤٣٤).

٢- تاريخ الخلفاء للسيوطي، ص (٢٠٤).

٣- منهج عليٍّ في الدعوة إلى الله، ص (١٨٣).

٤- الكبائر للذهبي، ص (١٤٥). فرائد الكلام، ص (٣٣٨).

٥- موسوعة فقه علي (٥٠٦).

٦- المصدر السابق نفسه.

٧- المغني (٩/١٠٤).

٣- ترحّمه على الفاروق:

مرَّ عليٌّ ﷺ على المساجد وفيها القناديل في شهر رمضان، فقال: نوَّر الله على عمر قبره، كما نوَّر علينا مساجدنا [١].

ثامناً: وقعة الجمل:

أ- سبب التسمية:

هي معركةٌ وقعت في البصرة عام ٣٦ هـ بين قوات أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ والجيش الذي يقوده الصحابيان طلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، بالإضافة إلى عائشة التي قيل إنها ذهبت مع جيش المدينة في هودجٍ من حديد على ظهر جمل، فسميت المعركة بالجمل نسبة إلى هذا الجمل.

ب- كيف بدأت المعركة:

وصل أصحاب الجمل إلى البصرة و لم يكن لهم غرض في القتال، بل أرادوا جمع الكلمة والقصاص من قتلة عثمانﷺ، والاتفاق مع علي ﷺ في الكيفية التي يمكن بها تنفيذ القصاص في مكانٍ بعيد عن المدينة المنورة التي صارت في تلك الأيام معقلاً لقتلة عثمان وأنصارهم. وكان في البصرة نفرٌ من دعاة الفتنة، الذين خرجوا على عثمان ﷺ. فعمل هؤلاء النفر من دعاة الفتنة على التحريض ضد أصحاب الجمل.

ثم كان أن وصل عليٌّ ﷺ إلى البصرة، فأرسل القعقاع بن عمرو إليهم فقال للسيدة عائشة: «أي أماه، ما أقدمك هذا البلد؟» فقالت: «أي بني الإصلاح بين الناس». فسعى القعقاع بن عمرو بين الفريقين بالصلح، واستقر الأمر على ذلك. وقرر علي ﷺ أن يرحل في اليوم الذي يليه إلى المدينة على ألا يرتحل معه أحد من قتلة عثمان ﷺ.

١- المصدر السابق (١٦٩/٢).

فاجتمع رؤوس السبئية ومثيرو الفتنة، الذين علموا أن هذا الصلح سينتهي بأمر القصاص عليهم. فخافوا على أنفسهم، وقرروا أن يشعلوا الحرب بين الجيشين، ويثيروا الناس ويوقعوا القتال بينهما فيفلتوا بهذا بفعلتهم[1].

> نقرأ في تاريخ الطبري: «لما تم الصلح بين علي وطلحة والزبير وعائشة ﵃؛ خطب علي ﵁ عشية ذلك اليوم في الناس وذكر الإسلام وسعادة أهله بالألفة والجماعة، وأن الله جمعهم بعد نبيه صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم على الخليفة أبي بكر ثم بعده عمر بن الخطاب ثم على عثمان ثم حدث هذا الحدث الذي جره قتل عثمان». ثم قال: «ألا وإني راحلٌ غداً فارتحلوا ولا يرتحلن غداً أحد أعان على عثمان بشيءٍ من أمور الناس، وليغْن السفهاء عني أنفسهم».

وفي تلك الأثناء بات كلا الفريقين فرحين بالاتفاق السلمي الذي تم، وفي اليوم التالي ومع طلوع الفجر، نفذ السبئية خطتهم، وفي هذا قال ابن كثير في البداية والنهاية:

«وبات الناس بخير ليلة، وبات قتلة عثمان بشر ليلة، وباتوا يتشاورن، حتى أجمعوا على أن يثيروا الحرب بين الفريقين، فنهضوا من قبل طلوع الفجر، وهم قريبٌ من ألفي رجل، فانصرف كل فريق إلى قرابتهم، وهجموا عليهم بالسيوف، فقام النَّاس من منامهم إلى السلاح، ونشبت الحرب وتبارز الفرسان، والسبئية أصحاب ابن السوداء قبّحه الله لا يفترون عن القتل، ومنادي علي ﵁ ينادي: ألا كفّوا ألا كفّوا، فلا يسمعه أحد...».

١- نهج السعادة (١/٣٥٠).

كان علي ﷺ يتألم كثيراً مما يحدث من إراقة دماء المسلمين. يروي ابن أبـي شيبة في مصنفه بسند صحيح عن الحسن بن علي قال: «لقد رأيته- يعني علياً- حين اشتد القتال يلوذ بي، وكان يتوجع على قتلى الفريقين ويقول:
«يا ليتني متّ قبل هذا اليوم بعشرين سنة».

جـ- نتائج المعركة:

انتهى القتال بعد أن اتضحت فتنة السبئية لكلا الجانبين، وقد أسفرت المعركة عن استشهاد طلحة بن عبيد الله ﷺ بعد أن أصابه سهم في ركبته، وقد حزن علي ﷺ كثيراً لمقتله، فحين رآه مقتولاً جعل يمسح التراب عن وجهه ويقول: «عزيزٌ عليّ أبا محمدٍ أن أراك مجندلاً تحت نجوم السماء». وقتل الزبير بن العوام ﷺ، أما عن السيدة عائشة فلما انتهى القتال ذهب عليٌّ ﷺ إليها، فقال: «غفر الله لك» فقالت: «ولك، ما أردتُ إلا الإصلاح». وفي أثناء ذلك قال رجل: يا أمير المؤمنين إن بالباب رجلين ينالان من عائشة، فأمر علي القعقاع بن عمرو أن يجلد كل منهما مئة جلدة وأن يجردهما من ثيابهما ففعل[1].ثم أنزلها دار عبد الله بن خلف وهي أعظم دار في البصرة ريثما تُهيّئ نفسها للعودة إلى المدينة معززة مكرمة[2].

١- الكامل في التاريخ جـ٢، ص (١٤٤).

٢- فضائل الإمام علي، ص (١٣٨- ١٣٩).

تاسعاً: موقعة صفين:

أ- أسبابها:

طالب أمير المؤمنين علي ﷺ معاوية بالبيعة، في حين طالب معاوية ﷺ علياً بالقصاص أولاً من قتلة عثمان رحمه الله ثم تكون البيعة. ولكنَّ علياً أصر على أن تكون البيعة أولاً.

ومع احتدام الموقف توجه أمير المؤمنين علي ﷺ إلى الشام لأخذ البيعة من معاوية، والذي بدوره أرسل جيشاً من دمشق لملاقاته فأقام في صفين، حيث تقابل الجيشان هناك.

ب- نتائج المعركة:

وضعت الحرب أوزارها، بعد أن طلب جيش معاوية ﷺ التحاكم إلى كتاب الله؛ وذلك لكثرة الشهداء في تلك المعارك[1]، فقبل علي ﷺ بذلك، مما أدى إلى خروج طائفةٍ من جيشه رافضةً التحكيم، وسميت الخوارج. فاضطر عليٌّ إلى خوض معركةٍ شديدةٍ معهم سميت بمعركة النهروان[2].

١- لا كما تتناقل كثيرٌ من كتب التاريخ: أنَّ ذلك كان خدعةً من معاوية حينما رأى أن الهزيمة واقعة به.

٢- معركة النهروان: إحدى المعارك الإسلامية الداخلية الباكرة، وقعت عام ٣٩هـ بين علي ابن أبي طالب وبين الخوارج، والنهروان موقع بين بغداد وحلوان. وسبب وقوعها رفض الخوارج لأمر التحكيم مع جيش معاوية. ورفعوا شعارهم الشهير: «لا حكم إلا حكم الله» وهو الشعار الذي قال عنه علي بن أبي طالب: «كلمة حق أريد بها باطل». وانتهت المعركة بانتصار جيش علي عليهم.

جـ- التحكيم:

بعد أن توقف القتال اتفق الطرفان على التحاكم إلى كتاب الله فمثل أبا موسى الأشعري[1] عليَّ بن أبي طالب، ومثل عمرَو بن العاص[2] معاوية بن أبي سفيان.

وفي الحقيقة فقد انتهت حادثة التحكيم: بأن كان عليٌّ ﷺ بالعراق يدعى أمير المؤمنين وكان معاوية ﷺ بالشام يدعى الأمير، فلمَّا مات عليٌّ ﷺ دعي معاوية ﷺ بالشام أمير المؤمنين[3]. وليس بصحيح تلك الرواياتُ التي تطعن في شخص الصحابي الجليل عمرو بن العاص ﷺ وبأنَّه قام بخداع أبي موسى الأشعري ﷺ يوم التحكيم.

عاشراً: إضاءات على عهد علي ﷺ:

إنَّ الخلاف الذي نشأ بين أمير المؤمنين علي من جهة وبين قوم الجمل من جهةٍ أخرى، ثمَّ بعد ذلك بين عليٍّ ومعاوية في صفين؛ لم يكن سببه ومنشؤه أنَّ هؤلاء كانوا يشكون في خلافة أمير المؤمنين علي وأحقيَّته بالخلافة، فقد كان هذا محلَّ إجماعٍ بينهم.

١- أبو موسى الأشعري: اسمه عبد الله بن قيس بن سليم، أسلم بمكة وهاجر إلى أرض الحبشة، وكان ممثل عليٍ يوم التحكيم.

٢- عمرو بن العاص: دخل الإسلام سنة ثمان للهجرة بعد فشل قريش الذريع في غزوة الأحزاب، وقدم إلى المدينة المنورة مع خالد بن الوليد وعثمان بن طلحة مسلمين فاستبشر المسلمون بإسلامهم، توفي في مصر وله من العمر ثلاث وتسعون سنة.

٣- تاريخ الطبري (٦/٧٦).

ودليل ذلك ما جاء على لسان معاوية حيث جاءه وفد من قبل علي رضي الله عنه فقالوا له: أنت تنازع عليّاً أأنت مثله ؟ فقال: لا والله إني لأعلم أنَّه أفضلُ مني، وأحقُّ بالأمر مني، ولكن ألستم تعلمون أنَّ عثمان قُتل مظلوماً، وأنا ابن عمِّه، والطالب بدمه، والله تعالى يقول: ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا﴾ [الإسراء:٣٣] ، قالوا: نعم قال: فأْتُوه، فقولوا له، فليدفع إليَّ قتلة عثمان ﷺ وأسلم له أمري، فأتوا عليّاً فكلموه، فلم يدفعهم إليه[١].

قال ابن حزم: لم ينكر معاوية قط فضل علي واستحقاقه للخلافة، ولكن اجتهاده أداه إلى تقديم أخذ الثأر من قتلة عثمان ﷺ على البيعة، ورأى نفسه أحق بطلب دم عثمان[*].

وأمَّا سبب رفض عليٍّ لطلب معاوية؛ فهو أنَّه كان موافقاً من حيث المبدأ على ضرورة الاقتصاص من قتلة عثمان، ولكنه كان يرى أن يؤجل الاقتصاص من هؤلاء إلى حين استقرار الأوضاع وهدوء الأمور واجتماع الكلمة[٢]، فهو لا يستطيع أن يقتل قتلة عثمان؛ لأنَّ لهم قبائل تدافع عنهم، والأمن غير مستتب، وما زالت الأمَّة في فتنة، فالأفضل في رأيه إعادة لمِّ الشمل، ثمَّ القصاص منهم بالطريقة التي تراها الأمَّة مجتمعةً[٣].

١- سير أعلام النبلاء (٣/١٤٠) رجاله ثقات وإسناده جيد.

*- الفِصَل في الملل والأهواء (٤/١٦٠).

٢- أحداث وأحاديث فتنة الهرج، ص ١٥٨.....

٣- حقبةٌ من التاريخ، ص (١٠٢).

استشهاد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب:

وهكذا مرَّت الأيام مسرعةً وعليٌّ ﷺ يصبر على أذى جنده وقومه في العراق، فهم لا يطيعون أمره إلا بعد نقاشٍ واختلاف، ومعاوية ﷺ قائمٌ في الشام كما كان على عهد عمر وعثمان... حتى حدث ما كان يتوقعه أمير المؤمنين علي ﷺ.

فإنه عندما رأى خذلان من حوله، كره الحياة وتمنى الموت، وكان يتوجه إلى الله بالدعاء ويطلب منه عز وجل أن يعجل منيته، فمما روي عنه أنه خطب يوماً فقال: اللهم إني قد سئمتهم وسئموني ومللتهم ومللّوني، فأرحني منهم وأرحهم مني، فما يمنع أشقاهم أن يخضبها بدم، ووضع يده على لحيته(*).

فتوفي رحمه الله عندما طعنه عبد الرحمن بن ملجم- وهو من الخوارج- طعنةً قاتلة توفي منها[1]. فكانت مدَّة خلافته أربع سنين وتسعة أشهر وثلاثة أيام، وكانت وفاته شهيداً في اليوم الحادي والعشرين من شهر رمضان عام أربعين للهجرة[2].

١- التاريخ الإسلامي، جـ٢، ص (٣٦).

٢- التاريخ الكبير للبخاري (٩٩/١) بسند صحيح.

*- مصنف عبد الرزاق (١٥٤/١٠) بإسناد صحيح، الطبقات (٤/٣).

وخير الكلام وأحسنه:

أنَّ عليَّاً ﷺ كان ليكون من خير رجال عصره سياسةً وحكماً، لو بقي عصر الخلافة الراشدة كما كان عليه في أيامه الأولى، أمَّا والعصر قد تغير وطبيعة المجتمع قد دخل عليها أشياءُ لم تكن على عهد الصحابة ﷺ من الترف والتعلق بالدنيا وتجارتها وأعمالها، فلا بد من تغيُّر في إدارة الأمة يلائم طبيعة هذا المجتمع الجديد ويعيد ضبط أركانه وأفراده بمظاهر مادية تناسبه مع الحفاظ على الأساسيات والفرائض التي لا يمكن لأمة الإسلام أن تفرط بها، وهذا ما سنأتي على ذكره عند حديثنا عن خلافة معاوية ﷺ.

نونيَّة أبو محمد القحطاني في الخلفاء الراشدين[1]:

قــل: إنَّ خــير الأنبيــاء محمــدٌ ... وأجـلُ مـن يمـشي علـى الكثبـان

وأجلَّ صَحبِ الرُّسْل صَحبُ محمد ... وكذلك أفضلُ صحبه العُمَـران[2]

فهمــا اللَّــذان تظــاهرا لنبيِّنــا ... في نــصره وهمــا لــه صــهران

صديقُ أحمد صاحبُ الغار الـذي ... هــو في المغــارة والــنبيُّ اثنــان

أعــني: أبــا بكــرٍ لم يختلــف ... مــن شــرعنا في فـضله رجـلان

هو شيخ أصحابِ النَّبيِّ وخيرهـم ... وإمــامهم حقَّــاً بــلا بُطــلان

لَّــا قــضى صــدِّيقُ أحمــد نحبــهُ ... دفــع الخلافــةَ للإمــام الثَّــاني

أعـني بـه: الفـاروق فـرَّقَ عَنْـوةً ... بالــسيف بــين الكفــر والإيمــان

ومضى وخلَّة الأمرَ شورى بينهم ... في الأمـر فـاجتمعوا علـى عثمـان

مــن كــان يــسهرُ ليلــةً في ركعــةٍ ... وتــراً فيُكمــلُ ختمــهُ القــرآن

ولــيَ الخلافــة صِــهرُ أحمــد بعــده ... أعــني علــيَّ العــالم الربَّــاني

سـبحان مـن جعـل الخلافـة رتبـةً ... وبنــى الإمامــة أيَّمــا بنيــان

واستخلف الأصحاب كي لا يدَّعي ... مــن بعــد أحمــدَ في النبــوة اثنــان

١- نونيَّة القحطاني، ص (٢١، ٢٢).

٢- العُمَران: أبو بكرٍ وعمر رضي الله عنهما.